doi.org/10.52866/esj.2020.03.16.01

مادّةُ شَدَدَ في القُرآنِ الكَرِيم
« دراسةٌ دلاليةٌ »

م.د. سلوان علي حسين الحديثي
كلية الإمام الأعظم الجامعة

المستخلص

يتناول هذا البحث دلالة مادة (شدد) على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي في اللغة العربية ، حيث جاءت هذه المادة محتفظة بدلالتها اللغوية وهي القوّة والإحكام في جميع هذه المستويات اللغوية حسّيّة كانت أو معنوية ، فعلى المستوى الصوتي جاءت دلالة أصواتها متناسبة مع مدلولها العام ، وعلى المستوى الصرفي جاءت جميع تصاريفها الاسمية والفعلية مشتملة على مدلولها اللغوي هذا ، أمّا على المستوى النحوي فقد جاءت بمواقع إعرابية متنوعة أفادت هذا المعنى من إخبار به أو وصف له أو إضافته لعذاب أو عقاب أو مكر وغيرها ، وأمّا على المستوى المعجمي فقد جاءت دالّةً على معنى القسوة والصلابة والقوّة والصعوبة والبأس وغيرها ، وجميعها جاءت متناسبة مع السياق اللغوي المفضي إلى التهديد أو الوعيد أو الزجر وغيرها.

الكلمات المفتاحية: شَدَدَ، القرآن الكريم، دلالية.

substance stressed in The Quran AL-Kareem
"A semantic study"

Dr. Silwan Ali Hussain Al-Hadithi
The AL-Imam AL-Adham University College

Abstract

This research deals with the significance of the substance (stressed) on the level of voice, grammatical and lexical in Arabic, where this article came retained its linguistic allowance, which is strength and tightness in all these linguistic levels, sensory or moral, on the vocal level the significance of its voices was proportional to Its general meaning, and on the pure level, all its nominal and actual descriptions included its linguistic significance, but on the grammatical level it came in various Arab sites that benefited from news, description or addition to torture, punishment or cunning and others, and at the lexical level came dal The meaning of cruelty, hardness, strength, difficulty, distress, etc., all of which were proportional to the linguistic context leading to threats, threats, insinuations, etc.

Keyword: stressed, The Quran AL-Kareem, semantic

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمد ، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار . أمّا بعد:

فالعربية لغة معطاء ما نضبت مفرداتها عن اداء معانيها، وتراكيبها عن أداء وظائفها على مرّ السنين، ولم تزل، وأهم ما يميزها هو طواعية ألفاظها على التنوع البنائي بحيث تأتي اللفظة على أبنية مختلفة؛ لتؤدي المعنى الصحيح داخل التراكيب اللغوية.

وهذا التنوع البنائي للفظة العربية راجع في الأصل إلى استقرار المادة اللغوية والتي في الغالب مكونة من ثلاثة أحرف، يصاحبها احتفاظ بالمدلول العام لها في جميع التصاريف التي يمكن أن تأتي منها، ومعجم مقاييس اللغة خير دليل على ذلك الأصل اللغوي. الذي يمكن عن طريقه معرفة التواصل الدلالي بين ما هو قديم وما هو جديد، مما جعلنا اليوم نفهم ما قاله القدماء من شعر ونثر وإن كانت لا تخلو من صعوبة يمكن أن تتجلى عن طريق البحث.

ولما كان القرآن الكريم ميداناً رحباً للدراسات اللغوية وجد فيه اللغويون قديمهم وحديثهم مبتغاهم الذي استقرّ في نفوسهم من لغة ونحو وصرف ودلالة وغيرها. وعليه كثرت دراساته وتنوعت أبحاثه في كل المجالات اللغوية . وما هذه الدراسة إلا بيان لمادة لغوية قد احتفظت بمدلولها اللغوي في كل التصاريف التي تولدت عنها داخل التراكيب اللغوية في القرآن الكريم.

وقد جاء هذا البحث مقسماً على تمهيد فيه الأصل الدلالي لهذه المادة لغة واصطلاحا مع نصوص لغوية مختلفة، تسبقه مقدمة، ويليه مبحثان ؛ الأول: الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية لهذه المادة اللغوية. والثاني: الدلالة المعجمية لها. ثم خاتمة فيها أهم نتائجه، يليها قائمة المصادر والمراجع.

وأخيراً فإن وُفِّقتُ في هذه الدراسة فمن الله ﷻ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي. تعالى الله عما يصفون.

التمهيد

الشّدّ لغةً:

هذه المادة اللغوية تدلّ على معنى قوّة الشيء وإحكامه، جاء في (مقاييس اللغة): (الشِّينُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ، وَفُرُوعُهُ تَرْجِعُ إِلَيْهِ. مِنْ ذَلِكَ شَدَدْتُ الْعَقْدَ شَدًّا أَشُدُّهُ)[1].

في (المحكم): (الشِّدَّة: نقيض اللين، ...، وكل مَا أُحكِمَ: فقد شُدّ وشُدِّد، ...، وَشَيْء شَدِيد: مشتد قوي)[2].

وقد جاءت هذه المادة في نصوص لغوية كثيرة تدل على معانٍ مختلفة لم تخرج فيها عن مفهومها اللغوي العام، ومنها:

جاء في (العين): (الشَّدُّ: العدو، والفعل: اشتدَّ والشِّدَّة: الصلابة. والشِّدَّةُ: النّجدة، وثبات القلب. والشِّدَّةُ: المجاعةُ. ورجلٌ شديد: شجاع. والشدائد الهزاهز)[3].

وفي (النهاية): ((لَا تَبيعُوا الحبَّ حتَّى يَشْتَدَّ)[4] أَرَادَ بالحبِّ الطعامَ، كالحِنطة وَالشَّعِيرِ، واشْتِدَادُهُ: قُوّته

---

(1) مقاييس اللغة (لابن فارس) 3/ 179 ، ينظر: المصباح المنير (للفيومي) 1/ 307 (شدد).

(2) المحكم (لابن سيده) 7/ 605 ، ينظر: لسان العرب (لابن منظور) 3/ 232 (شدد).

(3) العين (للخليل) 6/ 213 (شدد).

(4) ينظر: مسند أحمد (لابن حنبل) 21/ 37، (13314)، وسنن الترمذي (للترمذي) 3/ 522، (1228).

وصَلابتُه. وَفِيهِ (مَنْ يُشَادُّ الدينَ يَغْلِبُهُ)[1] أي: يقاويه وَيُقاوِمُه، ويُكلّف نفْسَه مِنَ الْعِبَادَةِ فِيهِ فوْق طاقَته. والمُشَادَدَةُ: المُغالَبة ،...، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ (أَلَا تَشِدُّ فَنَشِدَّ مَعَكَ)[2] أَيْ تَحْمِل عَلَى العدُوّ فنَحْمِلَ معَك. يُقَالُ شَدَّ فِي الْحَرْبِ يَشِدُّ)[3].

وفي (المحكم): (مِسْك شَدِيد الرَّائِحَة: قويها ذكيها[4])[5]، أي: أنّ هذا المسك قد أحكم برائحته الذكية قوّته على كلّ من استنشقه فشدّهم إليه عن طريقها.

وفي (أساس البلاغة): (قاسيت من فلان الشدة)[6]، أي: بلغت من تحمل مصائبه وشدائده المبلغ الذي أحكمت فيها سيطرتها عليه، وكأن فلاناً شدّه إليه بشدائده ومصائبه. وغيرها من النصوص الأخرى.

الشدّ اصطلاحاً:

هو (صلابة الشيء لوثاقة أثنائه أو انضغاط بعضها ببعض عَقْدًا أو نحوه مع الجفاف وعدم الرخاوة كصلابة الحَبّ ، وكالشيء الشديد)[7]. وهذا التعريف لم يخرج عن المفهوم اللغوي نفسه لهذه المادة دلالياً.

فهذه المادة اللغوية بمدلولها اللغوي والاصطلاحي تدلّ على كل ما هو ضدّ اللين والرخاوة، وقد جاءت بمدلولها هذه في جميع الصيغ الأسمية والفعلية داخل التراكيب اللغوية، إذ الاحتفاظ بهذا الأصل اللغوي يعدُّ من أهم خصائص اللغة العربية في ثبات المعنى لجميع مشتقاته التي تأتي منه، ففي جميع المواطن الحسيّة والمعنويّة التي وردت فيها هذه المادة في القرآن الكريم قد احتفظت بمدلولها هذا.

يرى الدكتور محمد المبارك أنّ الألفاظ التي ترجع إلى أصل لغوي واحد تشترك في عدد من الأصوات المتميّزة وهي في الغالب ثلاثة حروف في اللغة العربية ، وتسمّى مادة الكلمة وأصلها ، وأنّ هذه الألفاظ التي تشترك في هذا الأصل تشترك في معنى أصلي عام ينظم مفرداتها، فقطّاع تدل على كثرة القطع، ومقطوع تدل على من وقع عليه القطع، وقاطع تدل على من قام بالقطع، وغيرها. فالمعنى العام لمادّة (قطع) قد انتظم في جميع الصيغ التي تولدت منها[8].

المبحث الأول
مادّة (شدد) صوتياً وصرفياً ونحوياً

مادة (شدد) صوتياً:

تتكون هذه المادة اللغوية من صوت (الشين) وهو صوت (مهموس رخو متفشّ)[9]. والتفشي من صفاته الخاصة، ويقصد به انتشار النفس في الفم عند النطق به[10]. ومن صوت (الدال) وهو صوت (مجهور شديد)[11].

(1) ينظر: مسند أحمد (لابن حنبل) 33/ 32، (19786)، وصحيح البخاري (للبخاري) 1/ 23، (39).
(2) ينظر: صحيح البخاري (للبخاري) 3/ 1363، (3516).
(3) النهاية في غريب الحديث (لابن الأثير) 2/ 451 (شدد).
(4) ذكا: تدل (عَلَى حِدَّةٍ فِي الشَّيْءِ وَنَفَاذٍ) مقاييس اللغة (لابن فارس) 2/ 357 ، يقال: (مِسْك ذَكِيٌّ، وذاكٍ: سَاطِع الرَّائِحَة) المحكم (لابن سيده) 7/ 132 (ذكا).
(5) المحكم (لابن سيده) 7/ 606 (شدد).
(6) أساس البلاغة (للزمخشري) 1/ 498 (شدد).
(7) المعجم الاشتقاقي (د. محمد حسن حسن جبل) 2/ 1114 (شدد).
(8) ينظر: فقه اللغة (د.المبارك) 55 ـ 59.
(9) ينظر: الكتاب (لسيبويه) 4/ 434، وسّر صناعة الاعراب (لابن جني) 1/ 60 ـ 61، وعلم اللغة (د.السعران) 146 – 147.
(10) ينظر: المقتضب (للمبرد) 1/ 214، ودراسات في فقه اللغة (د. صبحي الصالح) 283.
(11) ينظر: الكتاب (لسيبويه) 4/ 434، وسّر صناعة الاعراب (لابن جني) 1/ 60، ودراسات في فقه اللغة

يقول ابن جني بعد أن تكلّم عن مناسبة الأصوات للأحداث المُعبّر بها عنها (وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبهَا وتقديم ما يضاهي أوّل الحدث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سَوْقا للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب)[1]، ويضرب لهذا الباب أمثلة عدّة منها هذه المادة اللغوية إذ يقول: (ومن ذلك قولهم : شدّ الحبل ونحوه . فالشين بما فيها من التفشيّ تشبَّه بالصوت أوّل انجذاب الحبل قبل استحكام العَقْد ثم يليه إحكام الشدّ والجذب وتأريب العَقْد فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين لا سيما وهي مدّغمة فهو أقوى لصنعتها وأدلّ على المعنى الذي أريد بها . ويقال شدّ وهو يُشِدّ . فأما الشدّة في الأمر فإنها مستعارة من شدّ الحبل ونحوه لضرب من الاتّساع والمبالغة على حدّ ما نقول فيما يشبه بغيره لتقوية أمره المراد به)[2]. فالشّدّ نوعان كما يُثبت ذلك ابن جني محسوس كشدّ الحبل والسلاسل وغيرها، ومعنوي كاشتداد الأمور وهي مستعارة لضرب من المبالغة في قوّتها وإحكامها ؛ للتقارب الدلالي بينها وبين شدّ الحبل ونحوه.

مادة (شدد) صرفياً:

جاءت هذه المادة اللغوي في القرآن الكريم على صيغ فعلية واسمية متنوعة؛ لبيان الدلالات المتوخاة منها في السياق القرآني، ويمكن تقسيمها على النحو الآتي:

أولاً ـ الصيغ الفعلية: ذكر اللغويون أنّ الفعل يدلّ على الحدوث والتجدّد ؛ بسبب تقيّده بتغيّر الزمن[3]، وقد جاءت الصيغ الفعلية لهذه المادة اللغوية بأزمانها الثلاثة وهي:

1 ـ الماضي: جاء الماضي منها على:

أ ـ شدد: في:

1 ـ قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[4]. أي: قوينا حكمه وأحكمناه في الدين والدنيا حتى مات عليه السلام في ظل ملك ثابت[5]. فدل الفعل الماضي على استمرار ثبوت ملكه طيلة حياته .

2 ـ قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾[6]. أي: أحكمنا خلق أجسادهم وقوّيناها بالأعصاب والعظام، ولا يزال خلقها كذلك مستمرا إلى يوم القيامة . فجاء بالفعل الماضي للدلالة على هذا الأمر[7].

ب ـ اشتد: في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[8]. أي: كما أنّ الريح لم تبقِ من الرماد شيئاً كذلك أعمالُ مكارمِ الذين كفروا يوم القيامة لا تنفعهم[9]، فدل الفعل الماضي على استمرار هذا الحكم في ما مضى وإلى يوم القيامة.

(د.صبحي الصالح) 281 ـ 283.

(1) الخصائص(لابن جني) 2/ 162.

(2) الخصائص (لابن جني) 2/ 163.

(3) ينظر: دلائل الاعجاز (للجرجاني) 174، والإيضاح (للقزويني) 2/ 113، ومعاني الأبنية (للسامرائي) 9.

(4) ص 20.

(5) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 26/ 378، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 23/ 229.

(6) الانسان 28.

(7) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 4/ 675، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 29/ 409 ـ 410.

(8) ابراهيم 18.

(9) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 2/ 512، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 13/ 212 ـ 213.

2 ـ المضارع: جاء على (نشدّ) في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[1]. أي: سنقويك بهارون عليه السلام وبالآيات البينات عند دعوة فرعون وقومه لعبادة الله ﷻ ، فاستجاب الله ﷻ له فأيده بذلك[2]. فالفعل المضارع جاء مناسبا لمعنى الاستقبال في اجابة دعوته عليه السلام .

3 ـ الأمر: ورد الأمر منها على:

أ ـ اشدد: في قوله تعالى: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾[3] و ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾[4]. جاء فعل الأمر في كلا الموطنين للدعاء من قبل موسى عليه السلام ، إلا أنه في الموطن الأول جاء للدعاء على فرعون وقومه بالأحزان والأنكاد حتى تكون قلوبهم في ضيق وشدة ؛ بسبب كفرهم واستكبارهم[5]. وفي الموطن الثاني جاء للدعاء له في تمكينه على فرعون وقومه بمآزرة أخيه هارون عليه السلام له في دعوته لهم[6].

ب ـ شدّوا: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾[7]. جاء فعل الأمر للدلالة على الأسر بعد اكثار القتل بالمشركين[8].

ثانياً ـ الصيغ الاسمية: ذكر اللغويون كذلك أن الاسم يدل على الثبوت والدوام ؛ لعدم تقيّده بالزمن[9]. وقد جاءت هذه المادة على صيغ مختلفة: نوعين منها على صيغ المشتقات ، وثلاثة اخرى من صيغ الجمع. أما صيغتا المشتقات فهما:

1 ـ الصفة المشبّهة: وهي (ما اشتق من فعل لازم، لمن قام به على معنى الثبوت)[10].

وللصفة المشبهة أوزان كثيرة[11]، ولم ترد هذه المادة اللغوية إلا على وزن واحد منها وهو (فعيل)، وهذا الوزن يأتي من باب (فَعَل) و(فَعِل) و(فَعُل)[12]، تقول: شدَّ يشِدُّ ويَشُدُّ فهو شَدِيد[13]. وقد جاءت صيغة (شديد) في اثنين وخمسين موطناً[14]

(1) القصص 35.
(2) ينظر: الجامع لأحكام القران (للقرطبي) 13/ 287، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 20/ 117.
(3) يونس 88.
(4) طه 31.
(5) ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 11/ 270.
(6) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 22/ 45، والبحر المحيط (لابي حيان) 7/ 329.
(7) محمد 4.
(8) ينظر: المحرر الوجيز (لابن عطية) 5/ 97، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 26/ 80.
(9) ينظر: دلائل الاعجاز (للجرجاني) 174، والإيضاح (للقزويني) 2/ 113، ومعاني الأبنية (للسامرائي)9.
(10) شرح الكافية (للأستراباذي) 3/ 431، ينظر: تسهيل الفوائد (لابن مالك) 139، والنحو الوافي (لعباس حسن) 3/ 284.
(11) ينظر: شرح الشافية (للأستراباذي) 1/ 143 ـ 151، وارتشاف الضّرب (لابي حيان) 5/ 2360 – 2361، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه (للحديثي) 275 ـ 279.
(12) ينظر: الكتاب(لسيبويه) 4/ 267، وشرح الشافية (للأستراباذي) 1/ 147 ـ 148، والمستقصى (للخطيب) 1/ 503 و505.
(13) ينظر: تهذيب اللغة (للأزهري) 11/ 183، والمحكم (لابن سيده) 7/ 605، ولسان العرب (لابن منظور) 3/ 232 (شدد).
(14) البقرة 165 و196 و211. آل عمران 4 و11 و56. المائدة 2 و98. الانعام 124. الاعراف 164. الانفال 13 و25 و48 و52. يونس 70. هود 80 و102. الرعد 6 و13. ابراهيم 2 و7. الاسراء 5 و58. الكهف 2. الحج 2. المؤمنون 77. النمل 21 و33. الاحزاب 11. سبأ 46. فاطر 7 و10. ص 26. غافر 3 و22. فصلت 27. الشورى 16 و26. الفتح 16. ق 26. النجم 5. الحديد 20 و25. المجادلة 15. الحشر 4 و7 و14. الطلاق 8 و10 . الجن 8. البروج 12. العاديات 8.

كقولـه تعـالى: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1] و﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[2] و﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[3] و﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[4] و﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[5] و﴿حَرَسًا شَدِيدًا﴾[6]، وغيرهـا تـدل عـلى معنـى الشِّـدة والقـوّة والاحـكام، سـواء أكانـت بالعقـاب والعـذاب أم بالحـروب أم بالفتـن أم بغيرهـا. وهـذه الصيغـة تـدل على معنـى الثبـوت واللـزوم دائـماً، يقـول الدكتـور فاضـل السـامرائي: (إنّ فعيـلاً يـدل عـلى الثبـوت واللـزوم وأنّ هـذه الدلالـة هـي أبـرز مـا يميّـز هـذا البنـاء)[7]؛ ولعـل السـبب الغالـب في دلالتهـا هذه هـو تعلّقهـا بالنفوس، يقـول ابـن فـارس: (وتكـون الصفـات اللازمـة للنفـوس عـلى فَعيـل نحـو: «شريـف وخفيـف»، وعـلى أضدادهـا: نحـو «وَضِيـع وكبـير وصغـير». هـذا هـو الأغلـب وقـد يختلـف في اليسـير)[8]، فشـدّة العـذاب والعقـاب، وشـدّة المكـر، وشـدّة البـأس، وشـدّة الحسـاب، وغيرهـا جميهـا وردت في النـص القـرآني متعلقـة بالنفـوس عـلى هـذه الصيغـة.

2 ـ اسـم التفضيـل: ويقصـد بـه (الوصـف المبنـي عـلى أفعـل لزيـادة صاحبـه على غـيره في أصـل الفعل[9].

ولاسـم التفضيـل شروط يجـب توفرهـا في الفعـل حتـى يصـاغ اسـم التفضيـل منـه كأن يكـون ثلاثيـاً متصرفـاً تامـاً مثبتـاً قابـلاً للتفاضـل وغيرهـا[10]. وقـد توفـرت جميعهـا في هـذه المـادة اللغويـة حتـى صِيـغ منهـا (أَشَـدُّ) عـلى (أَفعَـلُ) في تسـع وعشريـن موطنـا[11].

ولـه كذلـك ثلاثـة أحـوال وهـي: أن يكـون مجـردا مـن (ال) والاضافـة، أو أن يكـون مضافـاً إلى معرفـة أو نكـرة، أو أن يكـون محلّى بـ (ال)[12]. وفي كل حالـة منهـا لـه أحـكام تخصـه فيهـا.

وقـد جـاءت هـذه المـادة اللغويـة مجـردة مـن (ال) والاضافـة في سـتة وعشريـن موطنـا منهـا: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[13] و﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾[14] و ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[15]؛ لقصـد المفاضلـة وغيرهـا[16]. وجـاء مضافـاً إلى المعرفـة مفـرداً في ثلاثـة مواطـن وهـي: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾[17] و﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾[18] و ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[19] ؛ لقصـد التفضيـل تنصيصـاً[20]. ولم تـرد مضافـة إلى نكـرة، أو محلاة بـ (ال).

(1) البقرة 196.
(2) آل عمران 4.
(3) هود 102.
(4) النمل 33.
(5) النجم 5.
(6) الجن 8.
(7) معاني الأبنية (للسامرائي) 86.
(8) الصاحبي (لابن فارس) 228.
(9) شرح التصريح (للأزهري) 2/ 92، ينظر: النحو الوافي (لعباس حسن) 3/ 395، والمستقصى (للخطيب) 1/ 515.
(10) ينظر: شرح التسهيل (لابن مالك) 3/ 50، وشرح التصريح (للأزهري) 2/ 93 ـ 94، والنحو الوافي (لعباس حسن) 3/ 395 ـ 401.
(11) البقرة 74 و85 و165 و191 و200. النساء 66 و77 و84. المائدة 82. التوبة 69 و81 و97. مريم 69. طه 71 و127. القصص 78. الروم 9. فاطر 44. الصافات 11. غافر 21 و46 و82. فصلت 15. الزخرف 8. محمد 13. ق36. الحشر 13. المزمل 6. النازعات 27.
(12) ينظر: ارتشاف الضرب (لابي حيان) 5/ 2320 ـ 2332، وأوضح المسالك (لابن هشام) 3/ 287 ـ 297، والنحو الوافي (لعباس حسن) 3/ 401 ـ 426.
(13) البقرة 191.
(14) محمد 13.
(15) الحشر 13.
(16) ينظر: معاني النحو (للسامرائي) 4/ 311.
(17) البقرة 85.
(18) المائدة 82.
(19) غافر 46.
(20) ينظر: معاني النحو (للسامرائي) 4/ 317.

وأفعل التفضيل في الغالب يدل على الدوام والاستمرار[1]؛ لأن المفضل قد اتصف بصفة استمرت فيه ودامت حتى فُضل على غيره فيها.

تقول بنت الشاطئ: (وغلبة الاستعمال القرآني لمادة الشدّة في موقف الزجر والإرهاب والوعيد)[2]، وهذا أمر ملحوظ فيها، فقد جاءت هذه المادة في الغالب موصوفة بأنواع العذاب أو صفة له ، أو مضافة إليه، أو مميّزة به.

وقد جاء في أغلب المواطن مميّزاً (بالقسوة، والبأس، والتنكيل، والكفر، والعتو، والعذاب، والبطش، والرهبة، والوطء، والعداوة، والخشية، والقوة)[3]، يضاف إليه الحرّ[4] . وقد جاء مرّة واحدة مميّزا بالحب[5] والذكر[6] والتثبيت[7]، ومرتين بالخلق[8].

وقد ذكر اللغويون دلالات مختلفة لاستعمال أفعل التفضيل في التراكيب[9]، وقد اشتملت هذه المادة على بعض هذه الدلالات، وسوف أكتفي بمثال واحد لكل منها ؛ لعدم خروج المواطن الأخرى عن المفهوم نفسه. وهذه الدلالات هي:

أ ـ المفاضلة المطلقة: ويقصد بها أنّ المُفضّل يدخل فيه كل ما يحتمله من المعاني، ومن ضمنها المفضل عليه. ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾[10]، ذكر المفسرون للفتنة أقوالاً كثيرة[11] والراجح عدم التخصيص كما ذهب إليه ابو حيان وابن عاشور، قال ابو حيان: (وَإِنَّمَا أُقِرَّ أَنَّ مَاهِيَّةَ الْفِتْنَةِ أَشَدُّ مِنْ مَاهِيَّةِ الْقَتْلِ، فَكُلُّ مَكَانٍ تَتَحَقَّقُ فِيهِ هَذِهِ النِّسْبَةُ كَانَ دَاخِلًا فِي عُمُومِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ)[12]، وقال ابن عاشور: (وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ الْفِتْنَةِ خُصُوصَ الْإِخْرَاجِ مِنَ الدِّيَارِ)[13]. فالفتنة تشتمل على الكفر والقتل والصّد والاخراج وغيرها.

ب ـ الزيادة في أصل الوصف للمفضل على المفضل عليه: جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[14]، قال ابن عاشور: (أَيْ كُفَّارَ وَمُنَافِقِي الْمَدِينَةِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَوَاطَأَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْمُفَسِّرِينَ. وَازْدِيَادُهُمْ فِي الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ هُوَ بِالنِّسْبَةِ لِكُفَّارِ وَمُنَافِقِي الْمَدِينَةِ. وَمُنَافِقُوهُمْ أَشَدُّ نِفَاقًا مِنْ مُنَافِقِي الْمَدِينَةِ. وَهَذَا الِازْدِيَادُ رَاجِعٌ إِلَى تَمَكُّنِ الْوَصْفَيْنِ مِنْ نُفُوسِهِمْ، أَيْ كُفْرُهُمْ أَمْكَنُ فِي النُّفُوسِ مِنْ كُفْرِ كُفَّارِ الْمَدِينَةِ، وَنِفَاقُهُمْ أَمْكَنُ مِنْ نُفُوسِهِمْ كَذَلِكَ، أَيْ أَمْكَنُ فِي جَانِبِ الْكُفْرِ مِنْهُ وَالْبُعْدِ عَنِ الْإِقْلَاعِ عَنْهُ وَظُهُورِ بَوَادِرِ الشَّرِّ مِنْهُمْ)[15]، فكلاهما مشترك بالكفر والنفاق إلا أنّ الأعراب ازدادوا بهذين الوصفين على منافقي المدينة.

(1) ينظر: حاشية الخضري (للخضري) 2/ 540، والنحو الوافي (لعباس حسن) 3/ 395.
(2) التفسير البياني (لبنت الشاطئ) 1/ 115.
(3) التفسير البياني(لبنت الشاطئ) 1/ 115.
(4) ينظر: التوبة 81.
(5) ينظر: البقرة 165.
(6) ينظر: البقرة 200.
(7) ينظر: النساء 66.
(8) ينظر: الصافات 11، والنازعات 27.
(9) ينظر: شرح الكافية (للأستراباذي) 3/ 452 ـ 457، وهمع الهوامع (للسيوطي) 3/ 98، ومعاني النحو (للسامرائي) 4/ 311 ـ 315، وتصريف الأسماء والأفعال (لقباوة) 166 ـ 167.
(10) البقرة 191.
(11) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 5/ 289 ـ 290، والبحر المحيط (لابي حيان) 2/ 243 ـ 244.
(12) البحر المحيط (لابي حيان) 2/ 244.
(13) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 2/ 202.
(14) التوبة 97.
(15) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 11/ 11.

ت ـ بيان منتهى المفاضلة في الشّدّة: جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1]، قال الزمخشري: (فإن قلت لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه أبين وأدل على فرط القسوة، ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة)[2].

ث ـ المفاضلة بين ضدين لبيان الزيادة والكمال في الوصف من دون شراكة بين المفضل والمفضل عليه: ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾[3]. قال ابو حيان: (وَالْمُفَضَّلُ عَلَيْهِ مَحْذُوفٌ، وَهُمُ الْمُتَّخِذُونَ الْأَنْدَادَ، وَمُتَعَلِّقُ الْحُبِّ الثَّانِي فِيهِ خِلَافٌ. فَقِيلَ: مَعْنَى أَشَدُّ حُبًّا للهِ: أَيْ مِنْهُمْ للهِ، لِأَنَّ حُبَّهُمْ للهِ بِوَاسِطَةٍ، قَالَهُ الْحَسَنُ أَوْ مِنْهُمْ لِأَوْثَانِهِمْ، قَالَهُ غَيْرُهُ. وَمُقْتَضَى التَّمْيِيزِ بِالْأَشَدِّيَّةِ، إِفْرَادُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ بِالْمَحَبَّةِ)[4]، فمعنى متعلق الحب الثاني إمّا أن يكون: والذين أمنوا أشد حباً لله من المتخذين أنداداً لله، فالمحبة لله مشتركة بين الذين أمنوا وبين متخذي الأنداد، إلا أنّ الذين أمنوا أشد حباً لله منهم ؛ لأن حبّهم له بواسطة، وهذا من قبيل بيان منتهى المفاضلة في الشّدّة، كما في الدلالة السابقة.

وإمّا أن يكون: والذين آمنوا أشد حبّاً لله من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم، فلا توجد بين المحبتين شراكة في الله، أي: أن محبة المؤمنين لله أزيد وأكمل من محبة المشركين لأندادهم ؛ لأنهم لا يشركون معه واسطة. وهو الراجح ؛ لأن محبة أصحاب الأنداد (مُجَرَّدَةً عَنِ الْحُجَّةِ لَا تَبْلُغُ مَبْلَغَ أَصْحَابِ الِاعْتِقَادِ الصَّمِيمِ الْمَعْضُودِ بِالْبُرْهَانِ، وَلِأَنَّ إِيمَانَهُمْ بِهِمْ لِأَغْرَاضٍ عَاجِلَةٍ كَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ وَدَفْعِ الْمُلِمَّاتِ بِخِلَافِ حُبِّ الْمُؤْمِنِينَ للهِ فَإِنَّهُ حُبٌّ لِذَاتِهِ وَكَوْنِهِ أَهْلًا لِلْحُبِّ ،...، وَالْمَقْصُودُ تَنْقِيصُ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى فِي إِيمَانِهِمْ بِآلِهَتِهِمْ فَكَثِيرًا مَا كَانُوا يُعْرِضُونَ عَنْهَا إِذَا لَمْ يَجِدُوا مِنْهَا مَا أَمَّلُوهُ. فَمَوْرِدُ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْمَحَبَّتَيْنِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا التَّشْبِيهُ مُخَالِفٌ لِمَوْرِدِ التَّفْضِيلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ اسْمُ التَّفْضِيلِ هُنَا، لِأَنَّ التَّسْوِيَةَ نَاظِرَةٌ إِلَى فَرْطِ الْمَحَبَّةِ وَقْتَ خُطُورِهَا، وَالتَّفْضِيلُ نَاظِرٌ إِلَى رُسُوخِ الْمَحَبَّةِ وَعَدم تزلزلها)[5].

ج ـ المفاضلة بالنسبة للمخاطب: وهذا يكون بالنسبة لعقول المخاطبين إذا ما قِست قدرتهم بقدرة الله ﷻ ، أو في مواطن انكار البعث، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾[6]. قال ابو حيان: (وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا هَذَا تَقْوِيَةٌ لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ بَأْسَ اللهِ أَشَدُّ مِنْ بَأْسِ الْكُفَّارِ. وَقَدْ رَجَى كَفَّ بَأْسِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ النَّكَالِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ أَشَدُّ عُقُوبَةً. فَذَكَرَ قُوَّتَهُ وَقُدْرَتَهُ عليهم، وما يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ مِنَ التَّعْذِيبِ ،...، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ هُنَا عَلَى بَابِهَا)[7].

ح ـ التنصيص على التفضيل: وهذا يكون باضافة اسم التفضيل إلى المعرفة مفرداً غير مطابق، ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾[8]. قال ابو حيان: (وَمَعْنَى يُرَدُّونَ:

(1) البقرة 74.
(2) الكشاف (للزمخشري) 1/ 189، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 1/ 564.
(3) البقرة 165.
(4) البحر المحيط (لابي حيان) 2/ 87.
(5) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 2/ 92.
(6) النساء 84.
(7) البحر المحيط (لابي حيان) 3/ 732.
(8) البقرة 85.

يَصِيرُونَ، فَلَا يَلْزَمُ كَيْنُونَتُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي أَشَدِّ الْعَذَابِ، أَوْ يُرَادُ بِالرَّدِّ: الرُّجُوعُ إِلَى شَيْءٍ كَانُوا فِيهِ ،...، وَكَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا فِي أشدّ العذاب أيضا، لِأَنَّهُمْ عُذِّبُوا فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالْجَلَاءِ وَأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ)[1]. ففي كلا الحالتين يردون إلى عذاب النار الخالد المخزي، سواء رأوا أشدّ العذاب في الدنيا أم لم يروه؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[2]، فدخول النار هو الخزي لما يلقونه فيها المذلة والمهانة كما كانوا يلقونها في الدنيا بالقتل والسبي والاجلاء وغيرها، فقوله يردون إلى أشدّ العذاب تنصيص على عذاب الخزي يوم القيامة.

خ ـ بيان مرتبة المفضل: ورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾[3]، قال الرازي: (وَالْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى يُحْضِرُهُمْ أَوَّلًا حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ثُمَّ يُمَيِّزُ الْبَعْضَ مِنَ الْبَعْضِ فَمَنْ كَانَ أَشَدَّهُمْ تَمَرُّدًا فِي كُفْرِهِ خُصَّ بِعَذَابٍ أَعْظَمَ لِأَنَّ عَذَابَ الضَّالِّ الْمُضِلِّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ عَذَابِ مَنْ يَضِلُّ تَبَعًا لِغَيْرِهِ، وَلَيْسَ عَذَابُ مَنْ يَتَمَرَّدُ وَيَتَجَبَّرُ كَعَذَابِ الْمُقَلِّدِ وَلَيْسَ عَذَابُ مَنْ يُورِدُ الشُّبَهَ فِي الْبَاطِلِ كَعَذَابِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ مَعَ الْغَفْلَةِ،...، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ يَنْزِعُ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مَنْ كَانَ أَشَدَّ عُتُوًّا وَأَشَدَّ تمردا ليعلم أن عذابه أشد، ففائدة هذه التَّمْيِيزِ التَّخْصِيصُ بِشِدَّةِ الْعَذَابِ لَا التَّخْصِيصُ بِأَصْلِ الْعَذَابِ)[4].

د ـ بيان جهة التفضيل: وذلك في قوله تعالى: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾[5]. قال ابو حيان: (ورهبة: مَصْدَرُ رَهِبَ الْمَبْنِيُّ لِلْمَفْعُولِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَشَدُّ مَرْهُوبِيَّةً، فَالرَّهْبَةُ وَاقِعَةٌ مِنْهُمْ لَا مِنَ الْمُخَاطَبِينَ، وَالْمُخَاطَبُونَ مَرْهُوبُونَ ،...، وَالضَّمِيرُ فِي صُدُورِهِمْ. قِيلَ: لِلْيَهُودِ، وَقِيلَ: لِلْمُنَافِقِينَ، وَقِيلَ: لِلْفَرِيقَيْنِ. وجعل المصدر مَقَرًّا لِلرَّهْبَةِ دَلِيلٌ عَلَى تَمَكُّنِهَا مِنْهُمْ بِحَيْثُ صَارَتِ الصُّدُورُ مَقَرًّا لَهَا، وَالْمَعْنَى: رَهْبَتُهُمْ مِنْكُمْ أَشَدُّ مِنْ رَهْبَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.)[6]، فلو قال: لأنتم أرهب في صدورهم من الله، لأصبح المؤمنون هم المُرهَبون منهم لا المُرهِبون لهم ؛ لذلك أُضيف (أشدّ) إلى مصدر الرهبة للدلالة على وجه التفضيل وحقيقته وهي أنّ المُسْلِمِينَ أَرْهَبُ لَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ رهبة.

3 ـ الجمع: ويقصد به ضم مفرد إلى أكثر منه ؛ لغرض الايجاز والاختصار مع إفادة التكثير[7]. وهو على قسمين: صحيح وتكسير[8].

ولم ترد هذه المادة إلا على جمع التكسير: ويقصد به تغيير يطرأ على صيغة المفرد عند جمعه إمّا بزيادة عليه أو بنقص منه أو بتغيير حركة فيه[9]. وهو كذلك يقسم على قلّة وكثرة (والمرادُ بالقليل الثلاثة فما فوقها إلى العشرة، وما فوق العشرة فكثير)[10]. وقد جاءت في اثني عشر موطنا.

(1) البحر المحيط (لابي حيان) 1/ 472، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 1/ 591 ـ 592.
(2) آل عمران 192.
(3) مريم 69.
(4) مفاتيح الغيب (للرازي) 21/ 557، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 16/ 148.
(5) الحشر 13.
(6) البحر المحيط (لابي حيان) 10/ 145 ـ 146.
(7) ينظر: شرح المفصل (لابن يعيش) 3/ 213، وتوجيه اللمع (لابن الخباز) 92 وتسهيل الفوائد (لابن مالك) 12.
(8) ينظر: الأصول في النحو (لابن السراج) 1/ 46 ـ 47، وشرح المفصل (لابن يعيش) 3/ 235.
(9) ينظر: شرح الكافية (للأستراباذي) 3/ 396، وأوضح المسالك (لابن هشام) 4/ 307، والنحو الوافي (لعباس حسن) 4/ 626.
(10) شرح المفصل (لابن يعيش) 3/ 224.

أ ـ جمـوع القلّـة: جـاءت ثمانيـة مواطـن عـلى وزن واحـد مـن أوزانـه وهـو:

1ـ أفْعُـل: ويكـون قياسـا في الاسـم الثلاثي صحيح العـين عـلى (فَعْـل) ليسـت فـاؤه واوا، وليـس مضعفـا، والمؤنـث الرباعـي بغـير علامـة ظاهـرة، ثالثـه مـدّ[1].

وقـد جـاء الجمـع عـلى (أَشُـدٍّ) عـلى غـير قيـاس. وقـد اختلـف العلـماء فيـه، فمنهـم مـن جعـل لـه مفـردا كـ (شِـدّة) وقيـل (شَـدّ) وقيـل (شُـدّ) وقيـل (شِـدّ)، ومنهـم مـن جعلـه اسـم جمـع[2]، ومنهـم مـن جعلـه جمعـاً لا واحـد لـه[3]، والأظهـر في مفـرده هـو مـا ذهـب إليـه سـيبويه إذ قـال: (وقـد كُسّـرت فعلـةٌ عـلى أفعُـلٍ وذلـك قليـل عزيـز، ليـس بالأصـل. قالـوا: نِعمـةٌ وأنعـمٌ وشِـدَّةٌ وأشُـدٌّ[4]؛ لأنّ (فِعلَـة) تـأتي عـلى القلّـة بالألـف والتـاء، وعـلى الكثـرة عـلى (فِعَـل) نحـو: عِـدَّةُ تجمـع عـلى (عِـدَّات) و (عِـدَد)[5]، وهـو عـلى قلّتـه قـال عنـه الجوهـري: (وهـو حسـن؛ لانـه يقـال بلـغ الغـلام شِـدَّته)[6]. وقـال ابـن الحاجـب: (كانهـم جمعـوا شِـدَّة وقصـدوا إلى اختـلاف أنواعهـا فجمعوهـا بهـذا الاعتبار، أي: جهـات مـا تحصـل بـه القـوة . وليـس المـراد بالشِّـدَّة التـي هـي المصيبـة، وإنـما المـراد الشِّـدَّة التـي هـي القوة)[7].

وهـذه المواطـن هـي قولـه تعـالى: ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[8] و﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾[9] و﴿حَتَّىٰٓ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[10] و﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[11] و﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ﴾[12] و﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾[13] و﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ﴾[14] و ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾[15].

ففـي جميـع هـذه المواطـن جـاء هـذا الجمـع للدلالـة عـلى مراحـل بلـوغ الانسـان إلى كـمال القـوة العقليـة والجسـدية، التـي يسـتطيع فيهـا تحمـل التكاليـف المنوطـة بـه. قـال الزمخـشري: (الأَشُـدُّ: كـمال القـوة والعقـل والتمييـز ، وهـو مـن ألفـاظ الجمـوع التـي لم يسـتعمل لهـا واحـد كالأَسِـدّة والقتـود والأباطيـل وغـير ذلـك ، وكأنهـا شـدّة في غـير شيء واحـد ، فبنيـت لذلـك عـلى لفـظ الجمـع)[16]. فالزمخـشري جعـل هـذا الجمـع ممـا لا واحـد لـه، وهـذا محتمـل كذلـك، ومهـما يكـن مـن اختـلاف فيـه فـإن دلالتـه تبقـى واحـدة.

ب ـ جمـوع الكثـرة: جـاءت أربعـة مواطـن عـلى وزنـين مـن أوزانـه، وهمـا:

1 ـ فِعَـال: ويـأتي جمعـا لـ (فعيـل) مـا كان وصفـاً لمذكـر عاقـل[17]، وقـد جـاء (شِـدَاد) جمعـاً لـ (شَـدِيد) في ثلاثـة مواطـن وهـي: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ

(1) ينظـر: شرح الشـافية (للأسـتراباذي) 2/ 90، وهمـع الهوامـع (للسـيوطي) 3/ 348، والنحـو الـوافي (لعبـاس حسـن) 4/ 636 ـ 637.
(2) ينظـر: الكتاب (لسيبويه) 3/ 581 ـ 582، وشرح الشـافية (للأستراباذي) 2/ 104.
(3) ينظـر: المحكـم (لابـن سـيده) 7/ 608. ولسـان العرب(لابـن منظـور) 3/ 235 ـ 236 (شـد).
(4) الكتاب (لسيبويه) 3/ 581 ـ 582.
(5) ينظـر: الكتـاب (لسـيبويه) 3/ 580 ـ 581، وشرح الشـافية (للأسـتراباذي) 2/ 104.
(6) الصحاح (للجوهري) 2/ 493 (شدّ).
(7) أمالي ابن الحاجب (لابن الحاجب) 2/ 804.
(8) الأنعام 152.
(9) يوسف 22.
(10) الإسراء 34.
(11) الكهف 82.
(12) الحج 5.
(13) القصص 14.
(14) غافر 67.
(15) الأحقاف 15.
(16) الكشاف 3/ 146.
(17) ينظـر: شرح المفصـل (لابـن يعيـش) 3/ 284، وهمـع الهوامـع (للسـيوطي) 3/ 360، والنحـو الـوافي (لعبـاس حسـن) 4/ 649 ـ 650.

يَأۡكُلَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾[1] و ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾[2] و ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا﴾[3].

ففي الموطنين الأول والثالث جاء الجمع على (فِعَال) وهو من أوزان الكثرة، مع أنّ العدد دون العشرة؛ ولعل السبب في ذلك أنّ جمع القلة داخل في جمع الكثرة مما جعل العرب يستعملون الكثرة في مواطن القلّة، والضّد صحيح، يقول ابن يعيش: (أنّ الجموع قد يقع بعضُها موضعَ بعض، ويُستغنى ببعضها عن بعض، ألا ترى أنّهم قالوا: «رَسَنٌ»، و«أَرْسانٌ»، و«قَلَمٌ»، و«أَقْلامٌ»، واستغنوا بهذا الجمع عن جمع الكثرة؟ وقالوا: «رَجَلٌ»، و«رِجالٌ»، و«سَبُعٌ»، و«سِباعٌ» ولم يأتوا لهما ببناء قلّة؟ وأقيسُ ذلك أن يُستغنى بجمع الكثرة عن القلّة، لأنّ القليل داخلٌ في الكثير)[4]. أمّا الموطن الثاني فقد جاء الجمع مناسبا للعدد، وهم الزبانية التسعة عشر وأعوانهم الموصوفون بالغلظة والشدّة[5].

2 ـ أفعلاء: ويأتي جمعا لـ (فعيل) ما كان لمذكر مضاعفاً أو ناقصاً[6]، وقد جاء (أشدّاء) جمعاً لـ (شَدِيد) في موطن واحد وهو قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾[7]. فقد جاء الجمع مناسباً لكثرة الصحابة ﷺ الذين كانوا حوله ﷺ في شدّتهم على الكفار[8].

مادة (شدد) نحوياً:

قال ابن جني: النحو (هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك)[9]، فعن طريقه تتضح المعاني الوظيفة كالفاعلية والمفعولية والاضافة والاستثناء وغيرها[10]، وقد جاءت هذه المادة اللغوية متنوعة الأحكام الاعرابية بين رفع ونصب وجر بحسب الدلالة التي يقتضيها المقام من إخبار أو وصف أو إضافة وغيرها. ومن المواقع الإعرابية التي جاءت عليها:

1 ـ الخبر:

قال ابن فارس: (أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثرَ من أنّه إعلامٌ. تقول: «أخبرتُه. أخْبِرْه» والخبر هو العلم، وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه. وهو إفادة المخاطَب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستَقبل أو دائم. نحو: قام زيد، ويقوم زيد، وقائم زيد)[11]، فالغاية من الخبر هو إحاطة السامع به علما (فهو لا يُذكر في الكلام عبثاً، أي: بلا غاية يقصدها المتكلّم، وفائدة ينتفع بها السامع لذا قالوا: إنّ الغاية الأساسية من الخبر هي إفادة السامع بمضمون الخبر. وكان النحاة في تحرّيهم عن الغرض من الخبر يراعون حال المخاطب لذا فرّقوا بين ضروب الخبر بحسب حال المخاطب، ذلك لأنّ المخاطب قد يكون خالي الذهن من الخبر فيُخبر بجملة تناسب هذه الحال، وقد يكون

(1) يوسف 48.
(2) التحريم 6.
(3) النبأ 12.
(4) شرح المفصل (لابن يعيش) 3/ 225، ينظر: شرح الشافية (للأستراباذي) 2/ 93.
(5) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 4/ 573، والبحر المحيط (لابي حيان) 10/ 213.
(6) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش) 3/ 284، وهمع الهوامع (للسيوطي) 3/ 360أ والنحو الوافي (لعباس حسن) 4/ 652.
(7) الفتح 29.
(8) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 4/ 348، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 26/ 203.
(9) الخصائص(لابن جني) 1/ 35.
(10) ينظر: دلائل الاعجاز(للجرجاني) 28، وظاهرة الاعراب(لأحمد سليمان ياقوت) 21.
(11) الصاحبي(لابن فارس) 183.

المخاطب شاكاً في صدق الخبر فيُخبر بضرب آخر من الخبر يزيل شكه، وقد يكون المخاطب منكراً لما يُقال فيُرد بما يدحض إنكاره، لذا اختلفت ضروب الأخبار لاختلاف الغرض الذي يقصده المتكلم وبحسب الحال التي يكون عليها المخاطب)[1].

ويأتي الخبر في الكلام لمعانٍ مختلفة وأغراض متنوعة يخرج إليها عن طريق القرائن والسياق[2]، وقد جاءت هذه المادة خبراً للمبتدأ في عشرين موطنا للإخبار وغيره وهي:

أ ـ الاعلان: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾[3] أخبر الله ﷻ المؤمنين بأنّ الفتنة التي حملوكم عليها من اخراج أو صدٍّ أو كفر وغيرها هي أعظم من قتالهم إياكم أو قتالكم إياهم في الحرم. قال ابن عاشور: (وَالْمَقْصِدُ مِنْ هَذَا إِعْلَانُ عُذْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي قِتَالِهِمُ الْمُشْرِكِينَ وَإِلْقَاءُ بُغْضِ الْمُشْرِكِينَ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى يَكُونُوا عَلَى أَهُبَّةِ قِتَالِهِمْ وَالِانْتِقَامِ مِنْهُمْ بِصُدُورٍ حَرِجَةٍ حَنِقَةٍ)[4].

ب ـ إظهار القوّة والثبات للمخاطب: وذلك في قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾[5]، قال ابو حيان: (وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا هَذَا تَقْوِيَةٌ لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ بَأْسَ اللَّهِ أَشَدُّ مِنْ بَأْسِ الْكُفَّارِ. وَقَدْ رَجَى كَفَّ بَأْسِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا أَعِدَّ لَهُمْ مِنَ النَّكَالِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ أَشَدُّ عُقُوبَةً. فَذَكَرَ قُوَّتَهُ وَقُدْرَتَهُ عليهم، وما يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ مِنَ التَّعْذِيبِ)[6].

ت ـ إظهار استجهال المخاطب: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾[7]، قال الزمخشري: ((قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّا) استجهال لهم ، لأنّ من تصوّن من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصوُّن في مشقة الأبد ، كان أجهل من كل جاهل)[8]. فالخبر معلوم عندهم بأن حرّ جهنم أشد من حرّ القيظ الذي كانوا فيه، فالغرض من الخبر هو التعريض بجهلهم هذا.

ث ـ تنبيه المخاطب: وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا﴾[9]، فالغاية من الخبر هنا هو (تَنْبِيهُ الْمُسْلِمِينَ لِأَحْوَالِ الْأَعْرَابِ لِأَنَّهُمْ لِبُعْدِهِمْ عَنِ الِاحْتِكَاكِ بِهِمْ وَالْمُخَالَطَةِ مَعَهُمْ قَدْ تَخْفَى عَلَيْهِمْ أَحْوَالُهُمْ وَيَظُنُّونَ بِجَمِيعِهِمْ خَيْرًا.)[10]. ويكونون على يقظة منهم إذا ظهرت بوادر شرهم.

ج ـ إظهار ضعف المخاطب: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾[11]، قال الزمخشري: إنّ (من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون. وخلقهم (مّن طِينٍ لاَّزِبٍ) إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة؛ لأنّ ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوّة، أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب)[12]، ورجّح ابو حيان الأول[13]، أي:

(1) نظرية المعنى (للخالدي) 372 ـ 373.
(2) ينظر: الأصول في النحو(لابن السراج) 2/ 170 ـ 171، والايضاح (للقزويني) 3/ 92 ـ 93.
(3) البقرة 191.
(4) التحرير والتنوير(لابن عاشور) 2/ 202.
(5) النساء 84.
(6) البحر المحيط(لابي حيان) 3/ 732.
(7) التوبة 81.
(8) الكشاف (للزمخشري) 2/ 282، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 10/ 281.
(9) التوبة 97.
(10) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 11/ 11.
(11) الصافات 11.
(12) الكشاف (للزمخشري) 4/ 40.
(13) البحر المحيط (لابي حيان) 9/ 94.

الضعف والرخاوة، وهو إقرار (بِأَنَّهُمْ أَضْعَفُ خَلْقًا مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَعَوَالِمِهَا احْتِجَاجًا عَلَيْهِمْ بِأَنَّ تَأَتِّيَ خَلْقِهِمْ بَعْدَ الْفَنَاءِ أَهْوَنُ مِنْ تَأَتِّي الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ الْمَذْكُورَةِ آنِفًا)[1].

ح ـ الاستخفاف بالمخاطب: وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[2]. فهم (قد اغترّوا بقوّة أجسامهم وعزّة أمّتهم وادّعوا أنّهم لا يغلبهم أحد، وهو معنى قولهم: من أشدّ منّا قوّة فقوّهم ذلك هو سبب استكبارهم لأنّه أورثهم الاستخفاف بمن عداهم)[3].

خ ـ مدح المخاطب: وذلك في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[4]، قال الزمخشري: (ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدّد وهذا التعطف: فيتشدّدوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه، ويعاشروا إخوتهم في الإسلام متعطفين بالبر والصلة. وكف الأذى. والمعونة،...)[5]، و(هَذَا وَصْفُ مَدْحٍ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَعَ النبي ﷺ كَانُوا هُمْ فِئَةَ الْحَقِّ وَنَشْرِ الْإِسْلَامِ فَلَا يَلِيقُ بِهِمْ إِلَّا إِظْهَارُ الْغَضَبِ للهِ وَالْحُبِّ فِي اللهِ وَالْبُغْضِ فِي اللهِ مِنَ الْإِيمَانِ،...، فَلَا جَرَمَ أَنْ يَكُونُوا أَشَدَّ عَلَى الْكُفَّارِ)[6]. وأما بقية المواطن الأخرى فلا تخرج عن هذه الأغراض أو بعضها[7].

2 ـ خبر إنّ، وأنّ، ولكن:

جاءت هذه المادة خبراً مرفوعاً لهذه النواسخ الثلاثة، ومن المعلوم لدى النحاة أنّ من أشهر معاني (إنّ) هو توكيد مضمون الجملة الداخلة عليها[8]، فليس قولك: (محمدٌ حاضرٌ) كقولك: (إنّ محمداً حاضرٌ، أو لحاضرٌ) فهي أوكد من الأولى بهذه الأدوات. وقد جاءت خبراً لها من غير اقترانها بـ (اللام) في سبعة مواطن وهي: قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[9] و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[10] و﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَآقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[11] و﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[12] و﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[13] و﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[14] و﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ

(1) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 23/ 95.
(2) فصلت 15.
(3) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 24/ 256.
(4) الفتح 29.
(5) الكشاف (للزمخشري) 4/ 348.
(6) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 26/ 204.
(7) آل عمران 11، الأنفال 48، الرعد 13، مريم 69، طه 71 و127، القصص 78، محمد 13، ق 36، الحشر 13 و14، المزمل 6، النازعات 27.
(8) ينظر: دلائل الاعجاز (للجرجاني) 325، وشرح التصريح (للأزهري) 1/ 294، وهمع الهوامع (للسيوطي) 1/ 484.
(9) البقرة 211.
(10) المائدة 2.
(11) الأنفال 13.
(12) الأنفال 52.
(13) غافر 22.
(14) الحشر 4.

فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1]. فجميع هؤلاء سواء أكانوا من الكافرين أم من المسلمين الذين يخالفون أوامر الله ﷻ ورسوله ﷺ في المناسك وغيرها لا شك أنّ لهم العقاب الشديد المؤكد؛ لذلك جاء بـ (إنّ) للدلالة على هذا التوكيد.

وقد جاءت مقترنة بـ (اللام) في أربعة مواطن وهي: قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2] و﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[3] و﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[4] و﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[5]. إذا كانت (إنّ) تفيد التوكيد فإن مجيء (اللام) في خبرها يؤدي بلا شك إلى ازدياد هذا التوكيد من التوكيد بـ(إنّ) وحدها[6]، فالمشركون في الموطن الأول لم يعتبروا بالعقوبات النازلة بالأمم السابقة واستخفوا بها ؛ بسبب كفرهم وعنادهم فعدّوه امراً مستحيلاً ؛ لذلك استعجلوا به، وكان الله ﷻ مع ذلك غفوراً بتأجيل العذاب عنهم في الدنيا؛ لذلك جاءت اللام في الخبر للمبالغة في توكيد أنّ هذه المغفرة ليست دائمة، وأنّ العذاب الذي استعجلوه واقع بهم لا محالة[7]. أمّا في الموطن الثاني فالكلام عن النعم التي أنعم الله ﷻ بها على بني اسرائيل من انقاذهم من انواع العذاب والفتن التي كانوا يلقونها من آل فرعون، فالمرجو منهم هو الشكر على هذه النعم، أما في حالة كفران هذه النعم فانّ المقابل له هو العذاب الشديد، كما كان لمن قبلهم[8]؛ لذلك دخلت اللام في الخبر للتوكيد والمبالغة. وفي الموطن الثالث دخلت اللام كذلك لزيادة التوكيد بأن بطش الله ﷻ بالذين فتنوا المؤمنين في زمن الرسول ﷺ هو نفسه الذي حلّ بأصحاب الأخدود عندما فتنوا المؤمنين آنذاك[9]. أما في الموطن الرابع فقد ذكر أهم قبائح الانسان وهو الكفر وبعده البخل، ولما كان البخل منقصةً للنفس من دون طلب الخير للكل جاءت هذه اللام للتوكيد والمبالغة في هذا الحرص والإثار بالمال وعدم انفاقه في وجوه الخير[10].

أمّا (أنّ) فمن معانيها التوكيد كالمكسورة[11]، وقد جاءت في أربعة مواطن وهي: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[12] و﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[13] و﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[14] و﴿وَٱتَّقُوا۟

(1) الحشر 7.
(2) الرعد 6.
(3) ابراهيم 7.
(4) البروج 12.
(5) العاديات 8.
(6) ينظر: دلائل الاعجاز (للجرجاني) 327، والايضاح (للقزويني) 1/ 70، ومعاني النحو (للسامرائي) 1/ 323 – 325.
(7) ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 13/ 92 ـ 94.
(8) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 2/ 509.
(9) ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 30/ 247 – 248.
(10) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 32/ 262.
(11) ينظر: شرح المفصل (لابن يعيش) 4/ 526، وشرح التصريح (للأزهري) 1/ 294، ومعاني النحو (للسامرائي) 1/ 297.
(12) البقرة 165.
(13) البقرة 196.
(14) المائدة 98.

فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1]. فالعذاب الشديد في الموطن الأول ما هي إلا من آثار قوة الله ﷻ لذلك جاء مؤكدا[2]، ولّما كانت مناسك الحج في الموطن الثاني لا تخلو من المشقة والتعب جاءت شدّة العقاب مؤكداً بـ (أنّ) تحذيراً من التهاون بحدود الله ﷻ طلباً للتقوى[3]، والموطن الثالث كالموطن الثاني في المحافظة على حدود الله ﷻ وعدم انتهاكها في أوقات الحج[4]، ولّما كانت الفتنة لا تصيب الذين ظلموا فقط في الموطن الرابع جاء التوكيد بها لقصد شدّة التحذير من العقاب، والحث على الاستقامة لأوامره ﷻ[5].

وأمّا (لكن) فتأتي للتوكيد كذلك، كما تأتي للاستدراك[6]، فإن كان ما بعدها مخالفاً لما قبلها فهي للإستدراك نحو: (الشمس مشرقة لكن الجو بارد)، فإن لم يخالف فهي للتوكيد نحو: (ما زيد نائم لكنه مستيقظ)[7]. وقد جاءت في موطن واحد وهو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[8]، ذهب ابو حيان إلى أنّها للإستدراك وأنّ العذاب الشديد هو غير هذه الأحوال، إذ قال: (وَهَذِهِ أَحْوَالٌ هَيِّنَةٌ وَلكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ وَلَيْسَ بِهَيِّنٍ وَلَا لَيِّنٍ)[9].

وقال ابن المنير: (والاستدراك بقوله (ولكن عذاب الله شديد) راجع إلى قوله (وما هم بسكارى) وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازي، كأنه قيل: إذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب وما سببه ؟ فقال: سببه شدّة عذاب الله تعالى)[10]، فقوله: (وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازي) تفيد التوكيد كذلك ؛ لأن الذهول والوضع والسكر ما هو إلا نوع من العذاب الشديد الذي يصيب الناس عند قيام الساعة.

3 ـ خبر كان:

قال الرضي: ((كان) في نحو: (كان زيد قائمًا)، يدل على الكون الذي هو الحصول المطلق، وخبره يدل على الكون المخصوص وهو كون القيام أي حصوله ،...، مع فائدة أخرى ههنا وهي دلالته على تعيين زمان ذلك الحصول المقيد، ولو قلنا (قام زيد)، لم تحصل هاتان الفائدتان معًا فكان يدل على حصول حدث مطلق تقييده في خبره، وخبره يدل على حدث معين واقع في زمان مطلق تقييده في كان)[11].

فكان تأتي في الكلام للدلالة على تعيين زمن الحدث وهو الخبر. وقد جاءت هذه المادة خبرا لـ (كان) في أربعة مواطن وهي، قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾[12] و﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ

(1) الأنفال 25.
(2) ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 2/ 91.
(3) ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 2/ 230.
(4) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 1/ 714 ـ 715، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 7/ 60.
(5) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 15/ 474، والتحرير والتنوير(لابن عاشور) 9/ 318.
(6) ينظر: شرح التصريح (للأزهري) 1/ 294، وهمع الهوامع (للسيوطي)1/ 485،وحاشيةالخضري(للخضري)1/ 252.
(7) ينظر: معاني النحو(للسامرائي) 1/ 308.
(8) الحج 2.
(9) البحر المحيط(لابي حيان) 7/ 483.
(10) الانتصاف من الكشاف (لابن المنير) 4/ 175.
(11) شرح الكافية (للأستراباذي) 4/ 181 ـ 182.
(12) التوبة 69.

أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾[1] و﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾[2] و﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾[3]، ففي جميع هذه المواطن جاءت (كان) لتعيين زمن الخبر، أي: الحدث، وهو الشدّة المتميّزة بالقوة لهؤلاء الأقوام في الماضي المنقطع على وجه الثبوت[4]، أي: أنّ جميع هؤلاء الأقوام الذين سبقوا مشركي العرب كانت صفتهم القوّة الشديدة التي تركوا آثارها ومعالمها على الأرض ثابتةً لا تتغير؛ للاتعاظ والاعتبار بأحوالهم.

4 ـ الصفة (النعت):

ويقصد بها التابع المُبيّن صفة من صفات متبوعه أو من صفات ما تعلّق به، وهو ما يُسمّى بـ (النعت السببي)، نحو: (جاءني زيد التاجر)، في النعت، أو (جاءني زيد التاجر أبوه)، في النعت السببي[5]. ويأتي النعت لأغراض كثير كالتخصيص والتوضيح والمدح والذم والتعميم وغيرها[6].

(1) الروم 9.
(2) فاطر 44.
(3) غافر 21.
(4) ينظر: معاني النحو(للسامرائي) 1/ 210 ـ 211.
(5) ينظر: شرح المفصل(لابن يعيش) 2/ 232، وشرح التصريح(للأزهري) 2/ 108، وهمع الهوامع(للسيوطي) 2/ 145.
(6) ينظر: شرح المفصل (لابن يعيش) 2/ 232 ـ 234، وشرح التسهيل (لابن مالك) 3/ 306 ـ 307، وشرح الكافية (للأستراباذي) 2/ 287 ـ 288.

وقد جاءت هذه المادة صفة في أربعة وثلاثين موطناً ، في الغالب كان موصوفها (العذاب) حيث جاء في واحد وعشرين موطناً نحو: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾[7] و﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾[8] و﴿ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾[9] وغيرها[10]، أمّا بقيّة المواطن فهي مختلفة فقد جاء (البأس) موصوفا لها في خمسة مواطن نحو: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾[11] و﴿فَيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ﴾[12] وغيرها[13]، وجاء (سبع) موصوفا لها في موطنين وهما: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾[14] و﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا﴾[15]، وجاء موصوفها موطنا واحدا لكلّ من (الركن) في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾[16]، و(الزّلزال) في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾[17]، و(الحساب) في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ

(7) آل عمران 4.
(8) يونس 70.
(9)ق 26.
(10) آل عمران 56، الأنعام 124، الأعراف 164، ابراهيم 2، الاسراء 58، المؤمنون 77، النمل 21، سبأ 46، فاطر 7 و10، ص 26، فصلت 27 ، الشورى 16 و26، ق 26، الحديد 20، المجادلة 15، الطلاق 10.
(11) الاسراء 5.
(12) الكهف 2.
(13) النمل 33، الفتح 16، الحديد 25.
(14) يوسف 48.
(15) النبأ 12.
(16) هود 80.
(17) الأحزاب 11.

عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾[1]، و(الأليم) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[2]، و(الملائكة) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[3]، و(الحرس) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[4]، ومن الأغراض التي دلّت عليها:

أ ـ التخصيص: ويقصد به تقليل الاشتراك الحاصل بين النكرات، إي: إذا كان الموصوف نكرة، ومن المواطن التي دلّت عليه هذه المادّة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[5]، فـ (شديد) صفة للعذاب التي خصّصته بالأشدّية لهؤلاء الكفار بآيات الله[6]، وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[7] وصفهم الله ﷻ أولاً بالغلظة في أجرامِهم، ثمّ زادهم تخصيصاً آخراً وهو الشدّة، أي: القوّة والقسوة على أهل النار[8]، وهكذا بقية المواطن التي جاءت فيها نكرة.

ب ـ التوضيح: ويقصد به تقليل الاشتراك الحاصل بين المعارف، إي: إذا كان الموصوف معرفة، ومن المواطن التي دلّت عليه هذه المادّة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝٦٩ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾[9]، أي: أن كل من افترى على الله ﷻ بقول كاذب من اتخاذه الولد وغيره فإن له هذا العذاب الشديد، فجاءت الصفة موضحة لموصوفها، أي: أن أشدّ أنواع العذاب يكون لهؤلاء المفترين[10]. وقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾[11]، أي: ألقيا من كانت هذه صفاته من الكفر والعناد والشرك في أشدّ أنواع عذاب جهنم، فجاءت هذه الصفة موضحة أشدّية هذا العذاب[12]. وهكذا بقية المواطن التي جاءت فيها معرفة.

ت ـ التوكيد: ومن المواطن التي دلّت عليه هذه المادّة قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[13] يحتمل أن يكون (الذين كفروا) هم الذين كفروا بعيسى عليه السلام، ويحتمل التعريض بالمشركين في زمن الرسول ﷺ، فقد جاءت (شديدا) صفة للمفعول المطلق (عذابا) للدلالة على توكيد أنواع هذا العذاب، ففي الدنيا قد يكون بالقتل والأسر والذلّ وغيرها، وفي الآخرة يكون بأنواع عذاب النار[14]. وغيرها من المواطن.

(1) الطلاق 8.
(2) هود 102.
(3) التحريم 6.
(4) الجن 8.
(5) آل عمران 4.
(6) ينظر: البحر المحيط(لابي حيان) 3/ 18.
(7) التحريم 6.
(8) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 4/ 573، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 28/ 366.
(9) يونس 69 و70.
(10) ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 6/ 85، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 11/ 234.
(11) ق 24 ـ 26.
(12) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 28/ 137، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 26/ 302.
(13) آل عمران 56.
(14) ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 3/ 180، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 3/ 261.

5 ـ الاضافة:

قال ابن يعيش: (اعلم أنّ إضافة الاسم إلى الاسم إيصالُه إليه من غيرِ فَصْل، وجَعْلُ الثاني من تَمام الأوّل يتنزّل منه منزلةَ التنوين)[1]، وهي تقسم على قسمين: **الأولى**: محضة وتسمى معنوية، ويقصد بها اضافة غير الوصف إلى غير معموله، وتأتي في الكلام لإفادة التخصيص أو التعريف بحسب ما تضاف إليه، فإنْ أضيفت إلى النكرة أفادة تخصيصاً، ويقصد به تقليل الاشتراك الحصل في عموم النكرة نحو (غلامُ رجلٍ) أي: قد خصّصت هذا الغلام ـ بعد أن كان عاماً ـ بهذه النكرة فقل الاشتراك فيها. وإن أضيفت إلى معرفة أفادة تعريفاً، وهي إما أن تفيد واحداً بعينه فتكون للعهد نحو: (محمد رسول الله)، وإما ألا تفيد واحداً بعينه فتكون لعموم الجنس[2] نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾[3].

الثانية: غير محضة وتسمّى لفظية، ويقصد بها اضافة الوصف إلى معمولها، كاسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة وغيرها، نحو: (زيد ضاربُ خالدٍ) و (محمدٌ حسنُ الوجهِ)، وهي لا تفيد تخصيصاً أو تعريفاً، بل تفيد التخفيف أو رفع القبح كما يقول النحاة[4].

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أنّ هذه الاضافة لا تفيد التخفيف كما ذكر النحاة، بل يرى أنّ هناك فرقاً دلالياً بين الاعمال والاضافة، فالاعمال نص في الدلالة على الحال أو الاستقبال، والإضافة ليست نصا في ذلك، فإنك إذا قلت: (أنا ضاربٌ محمداً) كان ذلك دالا على الحدث في الحال أو الاستقبال،...، أما الإضافة فليست نصا في هذا المعنى، بل تحتمل المضي والاستمرار والحال، والاستقبال، فإذا قلت (أنا مكرمُ محمدٍ) احتمل ذلك المضي والحال والاستقبال والاستمرار ،...، والوصف في الاعمال يدل على الحدث نحو: (هذا بائعٌ السمكَ) بمعنى (يبيع) الآن أو في المستقبل، أما في الاضافة فهو يدل على الذات نحو: فإذا قلت: (هذا بائعُ السمكِ) كان المعنى: صاحب هذه المهنة، وإن لم يبع الآن أو في المستقبل[5]، وهو الراجح.

وقد وردت هذه المادة مضافة في عشرين موطناً، سبعة عشر منها بصيغة الصفة المشبهة (شديد)[6] كـ (شديد العذاب) و(شديد العقاب) و(شديد القوى) وغيرها، فالاضافة فيها غير محضة؛ لاضافتها إلى معمولها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[7]، قال ابو حيان: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ، لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ شِدَّةَ الْعِقَابِ عَلَى الْمُخَالَفَةِ كَانَ حَرِيصًا عَلَى تَحْصِيلِ التَّقْوَى، إِذْ بِهَا يَأْمَنُ مِنَ الْعِقَابِ ، وَشَدِيدُ الْعِقَابِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ لِلْمَوْصُوفِ لِلشُّبْهَةِ، وَالْإِضَافَةُ وَالنَّصْبُ أَبْلَغُ مِنَ الرَّفْعِ، لِأَنَّ فِيهَا إِسْنَادَ الصِّفَةِ لِلْمَوْصُوفِ، ثُمَّ ذَكَرَ، مَنْ هِيَ لَهُ حَقِيقَةٌ، وَالرَّفْعُ إِنَّمَا فِيهِ إِسْنَادُهَا لِمَنْ هِيَ لَهُ حَقِيقَةٌ فَقَطْ دُونَ إِسْنَادٍ

(1) شرح المفصل (لابن يعيش) 2/ 126، ينظر: شرح التصريح (للأزهري) 1/ 673.
(2) ينظر: شرح الكافية (للأستراباذي)1/ 207 ـ 208، وحاشية الخضري (للخضري) 2/ 494، ومعاني النحو(للسامرائي) 3/ 123 ـ 124.
(3) النساء 10.
(4) ينظر: شرح المفصل (لابن يعيش) 2/ 127 ـ 128، وحاشية الخضري (للخضري) 2/ 495 ـ 496، والنحو الوافي (لعباس حسن) 3/ 6.
(5) ينظر: معاني النحو(للسامرائي) 3/ 132 ـ 133.
(6) البقرة 165 و196 و211، آل عمران 11، المائدة 2 و98، الأنفال 13 و25 و48 و52، الرعد 6 و13، غافر 3 و22، النجم 5، الحشر 4 و7.
(7) البقرة 196.

لِلْمَوْصُوفِ)[1]، فالاضافة هنا من اضافة الصفة إلى فاعلها، أي: العقاب الشديد، قبل أن يُشبّه، فدلّت على أن عقاب الله ﷻ شديدٌ في كل وقت لمن يخالف أوامره ونواهيه، فضلا عن ثبوت الشدّ في هذا العقاب.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[2]، قال الزمخشري: ((شَدِيدُ الْقُوَى) ملك شديد قواه، والإضافة غير حقيقية، لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، وهو جبريل عليه السلام)[3]، فقوته عليه السلام باقية في كل زمن ثابتة الوصف فيه. وهكذا بقية المواطن الأخرى.

وقد وردت في ثلاثة مواطن بصيغة أفعل التفضيل، والأكثر عند النحاة أنّ الاضافة فيه من قبل الاضافة المحضة[4]، أي: إما أن يفيد التخصيص أو التعريف، وقد جاء في هذه المواطن جميعها مضافا إلى المعرفة، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾[5] و﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾[6] و﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[7]. فالاضافة في هذه المواطن جميعها لتعريف الجنس، ففي الموطنين الأول والثالث أفادة جنس العذاب الموصوف بالأشديّة[8]، وفي الموطن الثاني أفادة جنس اليهود والمشركين من الكفار الموصوفين بأشدّية العداء للمؤمنين[9].

المبحث الثاني
مادّة (شدد) معجمياً

أ ـ معنى الإحكام:

جاء في (الصحاح): (أحكمت الشيء فاسْتحْكَمَ، أي صار مُحْكَماً)[10]، وفي (المحكم): (وحَكَمَ الشَّيء وأحكمَهُ، كِلَاهُمَا: مَنعه من الْفساد)[11]، فكل ما أتقنت صنعه، وأوثقت أركانه فقد قوّيته ومنعته من الفساد.

وقد وردت (شدد) بهذا المعنى في موطن واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾[12] قال الزمخشري: ((سَبْعاً) سبع سموات (شِدَاداً) جمع شديدة، يعني: محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الأزمان)[13]، أي: أنها قوية مُتقنة الصنع لا يؤثر فيها طول الزمن فيفسدها بالتشقق والسقوط.

ب ـ معنى الإطلاق:

قال ابن فارس: (الطَّاءُ وَالـلَّامُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ مُطَّرِدٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى التَّخْلِيَةِ وَالْإِرْسَالِ)[14]، يقال: (لِسان طَلِقٌ ذَلِقٌ، مثل كتِف

(1) البحر المحيط (لابي حيان) 2/ 271.
(2) النجم 5.
(3) الكشاف (للزمخشري) 4/ 419، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 27/ 95.
(4) ينظر: شرح التصريح (للأزهري) 2/ 103، والنحو الوافي (لعباس حسن) 3/ 5، ومعاني النحو (للسامرائي) 3/ 120.
(5) البقرة 85.
(6) المائدة 82.
(7) غافر 46.
(8) ينظر: البحر المحيط (لابي حيان)1/ 473.
(9) ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 4/ 343، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 7/ 6.
(10) الصحاح (للجوهري) 5/ 1902 (حكم).
(11) المحكم (لابن سيده) 3/ 51 (حكم).
(12) النبأ 12.
(13) الكشاف (للزمخشري) 4/ 686، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 30/ 23.
(14) مقاييس اللغة (لابن فارس) 3/ 420 (طلق).

أَي: ذُو انْطِلاق وحِدّة)[1]، أي:أنه يُطلق القول من غير قيد أو شرط.

وقد ورد هذا المعنى في موطن واحد وهو قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]، قال ابو حيان: (كانُوا أَطْلَقَ لِسَانًا بِالْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ مِنْ مُنَافِقِي الْمَدِينَةِ، إِذْ كَانَ هَؤُلَاءِ يَسْتَوْلِي عَلَيْهِمُ الْخَوْفُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَ كُفْرُهُمْ سِرًّا وَلَا يَتَظَاهَرُونَ بِهِ إِلَّا تَعْرِيضًا)[3]؛ لأن (غِلَظَ الْقُلُوبِ وَجَلَافَةَ الطَّبْعِ تَزِيدُ النُّفُوسَ السَّيِّئَةَ وَحْشَةً وَنُفُورًا)[4]. أي: أن ألسنة الأعراب كانت أقوى وأحدّ من ألسنة منافقي المدينة؛ لذلك كانت أطلق في الكفر والنفاق منهم؛ لجفائهم وتوحشهم وبعدهم عن الاسلام وأحكامه.

ت ـ معنى البخل:

قال ابن سيده: (البُخْل، والبَخَلُ، والبَخْل، والبُخول: ضد الْكَرم)[5]، يقال: (بَخَّلَه: رَمَاهُ بالبُخل وَنَسَبَهُ إِلى البُخْل. وأَبْخَلَهُ: وَجَدَهُ بَخيلًا)[6].

وقد ورد هذا المعنى في موطن واحد وهو: قاله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[7]. قال الزمخشري: (الشديد: البخيل الممسك. يقال: فلان شديد ومتشدّد . قال طرفة : [الطويل]

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي
عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ[8]

يعني: وإنه لأجل حب المال وأن إنفاقه يثقل عليه: لبخيل ممسك . أو أراد بالشديد: القوي ، وأنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوي مطيق، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس)[9]. وقوله: (أو أراد بالشديد: القوي ،...) يدخل في وصف البخيل؛ لأنّه لحبّ المال وجمعه، والحرصه على عدم الانفاق ممسك قويٌّ، فينشغل به عن العبادات والطاعات.

ث ـ معنى البلوغ:

جاء في (المحكم):(بلغ الشَّيْء يبلغ بلوغاً: وصل وانْتهى)[10]، تقول: (بَلَغْتُ المكانَ بُلُوغاً: وصلْتُ إِليه وَكَذَلِكَ إِذا شارَفْتَ عَلَيْهِ)[11]

وقد وردت هذه المادة بهذا المعنى في موطن واحد وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[12]. قال العلماء في شدّة وطأ صلاة الليل ـ وهي الناشئة ـ أقوالاً كثيرة مختلفة منها: إنها أشدُّ موافقة لما يُراد من الخشوع والاخلاص، أو أشدُّ مواطأة بين القلب واللسان، وقيل أشدُّ موافقة بين السر والعلانية ، وقيل أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار، وقيل أثبت للعمل وأدوم، وغيرها[13]. والراجح منها هو ما ذكره الزجاج وهو: (وقيل أشد وَطئًا أي أبلغ في الثواب، لأن كل مجتهد فثوابه عَلَى قَدْرِ اجتهاده)[14]، فجميع الأوجه داخلة في بلوغ أعلى

(1) تاج العروس (للزبيدي) 26/ 90 (طلق).
(2) التوبة 97.
(3) البحر المحيط (لابي حيان) 5/ 491.
(4) التحرير والتنوير(لابن عاشور) 11/ 11.
(5) المحكم(لابن سيده) 5/ 211 (بخل).
(6) لسان العرب (لابن منظور) 11/ 47 (بخل).
(7) العاديات 8.
(8) الديوان 49.
(9) الكشاف (للزمخشري) 4/ 795، ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 32/ 262.
(10) المحكم (لابن سيده) 5/ 535 (بلغ).
(11) لسان العرب (لابن منظور) 8/ 419 (بلغ).
(12)المزمل 6.
(13) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 4/ 639 ـ 640، ومفاتيح الغيب (للرازي) 30/ 685، والبحر المحيط (لابي حيان) 10/ 315، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 29/ 263.
(14) معاني القرآن واعرابه (للزجاج) 5/ 240.

درجات الثواب، وهذا لا يكون إلا بعد بذل الجهد والقوة الجسدية والنفسية للوصول إليه.

ج ـ معنى الحُلُم:

قال ابن القطّاع: (حَلُم حِلْماً عقل)[1]، و(حَلَمَ الصَّبِيُّ وَاحْتَلَمَ أَدْرَكَ وَبَلَغَ مَبَالِغَ الرِّجَالِ فَهُوَ حَالِمٌ وَمُحْتَلِمٌ)[2]، وكأن اشتقاقه (مِنَ الحِلْم الأَناة والتثبُّت فِي الأُمور، وَذَلِكَ مِنْ شِعار الْعُقَلاءِ)[3].فالحُلُم هو التعقّل والادراك والبلوغ. وقد وردت هذه المادة بهذا المعنى في ثمانية مواطن، يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

1ـ الأشدّ في الأنبياء: وردت في موطنين لنبيين كريمين وهما:

أ ـ يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[4].

ب ـ موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[5]، ذكر الرازي في بلوغ الأشد والاستواء وجهين وهما: إمّا بمعنى واحد، وإمّا بمعنيين متغايرين وهو ما رأه صحيحاً، ثم ذكر له أربعة وجوه مختلفة مرجحاً الأول منها، إذ يقول: (أَحَدُهَا: وَهُوَ الْأَقْرَبُ أَنَّ الْأَشُدَّ عِبَارَةٌ عَنْ كَمَالِ الْقُوَّةِ الْجُسْمَانِيَّةِ الْبَدَنِيَّةِ، وَالِاسْتِوَاءُ عِبَارَةٌ عَنْ كَمَالِ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَثَانِيهَا: الْأَشُدُّ عِبَارَةٌ عَنْ كَمَالِ الْقُوَّةِ، وَالِاسْتِوَاءُ عِبَارَةٌ عَنْ كَمَالِ الْبِنْيَةِ وَالْخِلْقَةِ،...)[6]، والظاهر ان الثاني هو الراجح منها، يقول ابن عاشور: (وَالْحَقُّ أَنَّ الْأَشُدَّ كَمَالُ الْقُوَّةِ لِأَنَّ أَصْلَهُ جَمْعُ شِدَّةٍ بِكَسْرِ الشِّينِ بِوَزْنِ نِعْمَةٍ وأنعم وَهِيَ اسْمُ هَيْئَةٌ بِمَعْنَى الْقُوَّةِ ثُمَّ عُومِلَ مُعَامَلَةَ الْمُفْرَدِ . وَأَنَّ الِاسْتِوَاءَ: كَمَالُ الْبِنْيَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي وَصْفِ الزَّرْعِ: ﴿ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾[7]، وَهَذَا أُرِيدَ لِمُوسَى الْوَصْفُ بِالِاسْتِوَاءِ وَلَمْ يُوصَفْ يُوسُفُ إِلَّا بِبُلُوغِ الْأَشُدِّ خَاصَّةً لِأَنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا طُوَالًا كَمَا فِي الْحَدِيثِ (كَأَنَّهُ من رجال شنوءة)[8] فَكَانَ كَامِلَ الْأَعْضَاءِ وَلِذَلِكَ كَانَ وَكْزُهُ الْقِبْطِيَّ قَاضِيًا عَلَى الْمَوْكُوزِ)[9] فلما بلغا مبلغ الحُلُم من الادراك والحنكة آتاهما الله ﷻ العلم والمعرفة.

2ـ الأشدّ في الأيتام: وردت في ثلاثة مواطن وهي: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾[10] و﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾[11] و﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾[12].

ففي الموطن الأول ذكر العلماء أقوالاً كثيرة في بلوغ الأشد عند اليتامى[13]، والراجح منها هو بلوغهم الحُلُم، قال السمين الحلبي: (والمراد هنا ببلوغ الأشد بلوغ الحُلُم في قول الأكثر؛ لأنه مَظِنَّة

(1) الأفعال (لابن القطاع) 1/ 234 (حلم).
(2) المصباح المنير (للفيومي) 1/ 148 (حلم).
(3) لسان العرب (لابن منظور) 12/ 146 ، ينظر: تاج العروس (للزبيدي) 31/ 526 (حلم).
(4) يوسف 22.
(5) القصص 14.
(6) مفاتيح الغيب (للرازي) 24/ 583.
(7) الفتح 29.
(8) ينظر: قوت المغتذي (للسيوطي) 2/ 775، 3130 حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
(9) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 20/ 87.
(10) الأنعام 152.
(11) الاسراء 34.
(12) الكهف 82.
(13) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 2/ 75، ومفاتيح الغيب (للرازي) 13/ 179، والبحر المحيط (لابي حيان) 4/ 688 ـ 689.

ذلك)[1]، أي: أن يُؤنس منه الرشدُ بكمال قواه العقلية والجسمية.

أمّا الموطنان الآخران فلم يخرج مفهوم الأشد فيهما عمّا ذكره العلماء في الموطن الأول، قال ابن عاشور: (وَالْمُرَادُ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَنَظَائِرِهَا، مِمَّا الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى الْيَتِيمِ، بُلُوغُهُ الْقُوَّةَ الَّتِي يَخْرُجُ بِهَا مِنْ ضَعْفِ الصِّبَا، وَتِلْكَ هِيَ الْبُلُوغُ مَعَ صِحَّةِ الْعَقْلِ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بُلُوغُهُ أَهْلِيَّةَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ)[2].

3ـ الأشدّ في اكتمال الرجولة: وردت في ثلاثة مواطن وهي: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[3] و﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾[4] و ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[5].

ذكر في الموطن الثالث نهاية بلوغ الأشد وهو بلوغ الانسان أربعين سنة، قال الزمخشري : (وبلوغ الأشد: أن يكتهل ويستوفي السنّ التي تستحكم فيها قوّته وعقله وتمييزه ، وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين . وعن قتادة : ثلاث وثلاثون سنة ، ووجهه أن يكون ذلك أوّل الأشد ، وغايته الأربعين)[6]؛ (وَلِذَلِكَ عَطَفَ عَلَى بَلَغَ أَشُدَّهُ قَوْلَهُ: وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَيْ بَلَغَ الْأَشُدَّ وَوَصَلَ إِلَى أَكْمَلِهِ)[7]، فالمعنى في المواطن الثلاثة اجتماع القوّة مع تمام العقل [8].

ح ـ معنى الاستقصاء:

قال الزمخشري: (استقصيت الأمر وتقصيته: بلغت أقصاه في البحث عنه)[9]، وقال الزبيدي: (واسْتَقْصَى فِي المسْأَلَةِ وتَقَصَّى: بَلَغَ قصواها، أَي: الغايَةَ)[10].

وردت هذه المادة بهذا المعنى في موطن واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾[11]. قال الزمخشري: ((عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا) أعرضت عنه على وجه العتوّ والعناد (حِسَاباً شَدِيداً) بالاستقصاء والمناقشة (عَذَاباً نُّكْراً) ،...، والمراد: حساب الآخرة وعذابها ما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر)[12]. وقيل: (حَاسَبَهَا اللهَّ بِعَمَلِهَا فِي الدُّنْيَا فَجَازَاهَا الْعَذَابَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً أَيْ: عَذَابًا مُنْكَرًا عَظِيمًا، فَسَّرَ الْمُحَاسَبَةَ بِالتَّعْذِيبِ)[13]. أي: أنّ هذا الحساب كان مُستَقصِياً لكل عمل عملوه على وجه العناد والمخالفة صغيراً كان أو كبيراً ؛ لذلك كانت عاقبتها خسراً.

خ ـ معنى الربط والإيثاق:

قال ابن دريد: (ربطت الشَّيْء أربطه وأربُطه ربطاً إذا شددته)[14]، و(الرِباطُ: ما تُشَدُّ به القربةُ والدابةُ وغيرهما، والجمعُ رُبُطٌ)[15]. ورد هذا المعنى في ثلاثة موطن وهي:

(1) الدر المصون (للسمين الحلبي) 5/ 221.
(2) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 8/ 164.
(3) الحج 5.
(4) غافر 67.
(5) الأحقاف 15.
(6) الكشاف (للزمخشري) 4/ 306.
(7) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 26/ 33.
(8) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 3/ 146، ومفاتيح الغيب (للرازي) 27/ 531، والجامع لأحكام القران (للقرطبي) 15/ 330، و التحرير والتنوير (لابن عاشور) 17/ 201.
(9) أساس البلاغة (للزمخشري) 2/ 84 (قصا).
(10) تاج العروس(للزبيدي) 39/ 307 (قصا).
(11) الطلاق 8.
(12) الكشاف (للزمخشري) 4/ 563.
(13) مفاتيح الغيب (للرازي) 30/ 565، ينظر: الجامع لأحكام القران (للقرطبي) 18/ 173، وفتح القدير (للشوكاني) 5/ 294.
(14) جمهرة اللغة (لابن دريد) 1/ 315 (ربط).
(15) الصحاح (للجوهري) 3/ 1127 (ربط).

1 ـ قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾[1]. قال الزمخشري: (ومعنى (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ) سنقويك به ونعينك، فإمّا أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد. والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور. وإمّا لأنّ الرجل شبة باليد في اشتدادها باشتداد العضد، فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة)[2]، فـ (جُعِلَ الْأَخُ هُنَا بِمَنْزِلَةِ الرِّبَاطِ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ،...، وَهَذَا كُلُّهُ تَمْثِيلٌ لِحَالِ إِيضَاحِ حُجَّتِهِ بِحَالِ تَقْوِيَةِ مَنْ يُرِيدُ عَمَلًا عَظِيمًا أَنْ يُشَدَّ عَلَى يَدِهِ وَهُوَ التَّأْيِيدُ الَّذِي شَاعَ فِي مَعْنَى الْإِعَانَةِ وَالْإِمْدَادِ)[3].

2 ـ قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[4]، قال الزمخشري: (فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فأسروهم. والوثاق بالفتح والكسر[5]: اسم ما يوثق به)[6]؛ لأن (الْأَسْرَ يَسْتَلْزِمُ الْوَضْعَ فِي الْقَيْدِ يُشَدُّ بِهِ الْأَسِيرُ)[7].

3 ـ قال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾[8]، قال الزجاج: ((أَسْرَهُمْ) خلقهم جاء في التفسير أيضاً مَفَاصِلُهُمْ)[9]. وقال الزمخشري: (والمعنى: شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض، وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب)[10]، أي: (أَحْكَمْنَا رَبْطَ أَجْزَاءِ أَجْسَامِهِمْ فَكَانَتْ مشدودا بَعْضهَا إِلَى بَعْضٍ)[11]. فجاء شدد هنا بمعنى ربط يد الأسير ورجله بالحبال أو بغيرها من الوُثُق في الموطن الأول. وربط مفاصل الجسم وعظامه بالأعصاب وكأن بعضها مأسور ببعض في دقّة عالية من الإحكام والاتقان.

د ـ معنى الصعوبة:

جاء في (العين): (صَعُبَ الشيء صُعُوبة، أي أشتدّ. وكلّ شيء لم يُطَقْ فهو مُصْعَب)[12]، يقال: (استصعب عليه الأمر، أي صَعُبَ)[13]. فلم يطقه لشدّته وامتناعه.

وقد وردت هذه المادة بهذا المعنى في ثلاثة مواطن وهي: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾[14] و﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[15] و﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[16].

ففي الموطن الأول قال الرازي: (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ أَيْ سَبْعُ سِنِينَ مُجْدِبَاتٍ، وَالشِّدَادُ الصِّعَابُ الَّتِي تَشْتَدُّ عَلَى النَّاسِ)[17]، (وَالشِّدَادُ: وَصْفٌ لِسِنِي الْجَدْبِ، لِأَنَّ الْجَدْبَ حَاصِلٌ فِيهَا، فَوَصَفَهَا بِالشِّدَّةِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ)[18]، فقلّة الطعام في هذه السنين قد فرضت قوتها وشدّتها

(1) القصص 35.
(2) الكشاف (للزمخشري) 3/ 414 ـ 415، ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 24/ 597.
(3) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 20/ 117.
(4) محمد 4.
(5) ينظر: الصحاح (للجوهري) 4/ 1563، ولسان العرب (لابن منظور) 10/ 371 (وثق).
(6) الكشاف (للزمخشري) 4/ 320، ينظر: الدر المصون (للسمين الحلبي) 9/ 685.
(7) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 26/ 80.
(8) الانسان 28.
(9) معاني القرآن واعرابه (للزجاج) 5/ 263.
(10) الكشاف (للزمخشري) 4/ 675.
(11) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 29/ 410.
(12) العين (للخليل) 1/ 311 (صعب).
(13) الصحاح (للجوهري) 1/ 163 (صعب).
(14) يوسف 48.
(15) الصافات 11.
(16) النازعات 27.
(17) مفاتيح الغيب (للرازي) 18/ 465.
(18) التحرير والتنوير(لابن عاشور) 12/ 287.

عـلى النـاس بهـذا الجـدب.

أمـا في الموطنـين الثـاني والثالـث فالخطـاب فيـه لمنكـري البعـث بعـد المـوت والفنـاء، إلا أنـه ﷻ قـال في الثـاني (مـن خلقنـا) أي: خلـق الملائكـة ، والسـماوات والأرض ، والمشـارق ، والكواكـب، والشـياطين المـردة، وغيرهـا (وأنّ مـن هـان عليـه خلـق هـذه الخلائـق العظيمـة ولم يصعـب عليـه اختراعهـا كان خلـق البشـر عليـه أهـون . وخلقهـم (مّـن طِـينٍ لاَّزِبٍ) إمـا شـهادة عليهـم بالضعـف والرخـاوة لأنّ مـا يصنـع مـن الطـين غـير موصـوف بالصلابـة والقـوّة ، أو احتجـاج عليهـم بـأن الطـين الـلازب الـذي خلقـوا منـه تـراب ، فمـن أيـن استنكروا أن يخلقـوا مـن تـراب مثله حيث قالوا: ائـذا كنـا تراباً . وهـذا المعنـى يعضـده مـا يتلـوه مـن ذكـر إنكارهـم البعـث)[1].

وفي الثالـث ذكـر مـن هـذه الخلائـق العظيمـة السـماء ومـا فيهـا مـن ابـداع الصنـع واتقانـه، أي: (أَءَنتُـمْ أصعـب خَلْقـاً وإنشـاء أَمِ السَّـمَآءُ ؟ ثـم بـين كيـف خلقهـا فقـال (بَنَاهَـا) ثـم بـين البنـاء فقـال (رَفَـعَ سَـمْكَهَا) أي: جعـل مقـدار ذهابهـا في سـمت العلـو مديـداً رفيعـاً مسـيرة خمسـمائة عـام (فَسَـوَّاهَا) فعدلهـا مسـتوية ملسـاء ، ليـس فيهـا تفـاوت ولا فطـور)[2].

ذ ـ معنى الضّيق:

قـال ابـن سـيده: (الضّيـق: نقيـض السـعَة)[3]، يقـال: (هُـوَ فِي ضِيـقٍ مِـنْ أَمـره وضَيْـقٍ، أَي: فِي أَمـر ضَيِّـقٍ،...، وَيُقَـالُ: فِي صَـدْرِ فُـلَانٍ ضِيـقٌ عَلَيْنَـا)[4].

ورد هـذا المعنـى لهـذه المـادة في موطـن واحـد وهـو قولـه تعـالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[5]. ذهـب أكثـر العلـماء إلى أنّ معنـى قولـه: (واشـدد عـلى قلوبهـم) هـو الطبـع عليهـا أو الاسـتيثاق منهـا فـلا يدخلهـا الإيـمان[6]. وذهـب ابـن عاشـور إلى أنّ معنـاه هـو التّضييـق عليهـا بادخـال الشّـدائد والمصائـب، إذ يقـول: (والْمَعْنَـى: أَنَّـهُ يَدْعُـو عَلَيْهِـمْ بِالْأَنْـكَادِ وَالْأَحْـزَانِ الَّتِـي تَجْعَـلُ قُلُوبَهُـمْ فِي ضِيـقٍ وَحَـرَجٍ أَيِ: اجْعَلْهُـمْ فِي عَنَـاءٍ وَبَلْبَلَـةِ بَـالٍ مَـا دَامُـوا فِي الْكُفْـرِ. وَهَـذَا حِـرْصٌ مِنْـهُ – عَلَيْـهِ السَّـلَامُ – عَـلَى وَسَـائِلِ هِدَايَتِهِـمْ رَجَـاءَ أَنَّهُـمْ إِذَا زَالَـتْ عَنْهُـمُ النِّعَـمُ وَضَاقَـتْ صُدُورُهُـمْ بِكُـرُوبِ الْحَيَـاةِ تُفَكَّـرُوا فِي سَـبَبِ ذَلِـكَ ، فَعَجَّلُـوا بِالتوْبَـةِ إِلَى اللهَّ كَـمَا هُـوَ مُعْتَـادُ النُّفُـوسِ الْغَافِلَـةِ)[7]، ومـا ذهـب إليـه ابـن عاشـور هـو الراجـح ؛ لأن الزينـة والأمـوال مـن أسـباب الـترف والدّعـة الموجبـة للفسـاد.

ر ـ معنى العِظَم:

قـال ابـن فـارس: (الْعَـيْنُ وَالظَّـاءُ وَالْمِيـمُ أَصْـلٌ وَاحِـدٌ صَحِيـحٌ يَـدُلُّ عَـلَى كِـبَرٍ وَقُـوَّةٍ. فَالْعِظَـمُ: مَصْـدَرُ الـشَّيْءِ الْعَظِيـمِ)[8]، يقـال: (أعظَمَنـي مَـا قلـت: هالنـي وعَظُـمَ عـليَّ وأعظَـمَ الْأَمـر: صَـار عَظِيمـا)[9]. جـاءت هـذه المـادة

(1) الكشـاف (للزمخـشري) 4/ 40، ينظـر: البحـر المحيـط (لابي حيـان) 9/ 93، والتحريـر والتنويـر (لابـن عاشـور) 23/ 95.

(2) الكشـاف (للزمخـشري) 4/ 697، ينظـر: مفاتيـح الغيـب (للـرازي) 31/ 42ـ 43.

(3) المحكم (لابن سيده) 6/ 485 (ضيق).

(4) لسان العرب (لابن منظور) 10 / 208 (ضيق).

(5) يونس 88.

(6) ينظـر: معـاني القـرآن (للفـراء) 1/ 477، ومعـاني القـرآن واعرابـه (للزجـاج) 3/ 31، والكشـاف (للزمخـشري) 2/ 348، ومفاتيـح الغيـب (للـرازي) 17/ 294، والبحـر المحيـط (لابي حيـان) 6/ 100، وفتـح القديـر (للشـوكاني) 2/ 535.

(7) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 11/ 270 ـ 271.

(8) مقاييـس اللغـة (لابـن فـارس) 4/ 355 ، ينظـر: الأفعـال (لابـن القطـاع) 2/ 380 (عظـم).

(9) المحكم (لابن سيده) 2/ 69 (عظم).

بهذا المعنى في أربعة مواطن وهي:

1 ـ قال تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

المقصود بالمقاتلة والاخراج هم مشركو قريش الذين قاتلوا المسلمين وأذاقوهم شتّى أنواع الأذى من ضرب وسخرية وقتل، وآخرها هو الإخراج من مكة. وقيل في الفتنة التي هي أشدُّ من القتل أقوال كثيرة منها: الرّجوع إلى الكفر، أو الشرك بالله، أو استعظام المسلمين لما قام به أحد الصحابة من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام، أو الاخراج من الوطن، أو بصدهم إياكم عن المسجد الحرام، أو غيرها[2]، فكل هذه الأفعال التي فعلها المشركون هي (أشد من قتلكم اياهم في الحرم أو من قتلهم إياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم)[3]؛ وذلك لأنهم كانوا على أحوال مختلفة كل واحد منها هو أعظم من انتهاك حرمة البيت الحرام، من قتل أو اخراج أو صدٍّ ؛ فكانت هذه الفتنة أعظم (مِنَ الْقَتْلِ لَتَكَرُّرِ إِضْرَارِهَا بِخِلَافِ أَلَمِ الْقَتْلِ)[4].

2 ـ قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾[5].

الآية الكريمة أوجبت على الرسول ﷺ قتال المشركين وحده، وأن لا يكلف غيره فيه؛ لأن الله ﷻ قد ضمن له النصر. وأمره بأن يحرّض المؤمنين على قتال المشركين وإنْ لم يخرجوا معه امتثالاً لأمره ﷻ فكفَّ الله بأس المشركين عنه ﷺ وعن المؤمنين في بدرٍ الصغرى بعد أحد[6]، قال ابو حيان: (هَذَا تَقْوِيَةٌ لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ بَأْسَ اللهِ أَشَدُّ مِنْ بَأْسِ الْكُفَّارِ. وَقَدْ رَجَى كَفَّ بَأْسِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا أُعِدَّ لَهُمْ مِنَ النَّكَالِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ أَشَدُّ عُقُوبَةً. فَذَكَرَ قُوَّتَهُ وَقُدْرَتَهُ عليهم، ومَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ مِنَ التَّعْذِيبِ)[7]، فبأس الله أعظم من بأسهم وعقوبته أعظم وأدوم عليهم.

3 ـ قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾[8].

أي: إن هؤلاء المنافقين الذين تخلّفوا عن الجهاد في غزوة تبوك بسبب الحرِّ إنّما هم رضوا بما هو أعظم وأشدّ من هذا الحرِّ الذي كانوا فيه، قال ابو حيان: (إِذَا كُنْتُمْ تَجْزَعُونَ مِنْ حَرِّ الْقَيْظِ ، فَنَارُ جَهَنَّمَ الَّتِي هِيَ أَشَدُّ أَحْرَى أَنْ تَجْزَعُوا مِنْهَا لَوْ فَقِهْتُمْ)[9].

4 ـ قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[10].أي: إن رهبة اليهود والمنافقين من المؤمنين أعظم من رهبتهم لله ﷻ، قال الزمخشري: (فإن قلت: كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشدّ. قلت: معناه أن رهبتهم في السر منكم أشدّ من رهبتهم من

(1) البقرة 191.
(2) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 5/ 289 ـ 290 ، والبحر المحيط (لابي حيان) 2/ 243 ـ 244.
(3) الكشاف (للزمخشري) 1/ 263.
(4) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 2/ 202.
(5) النساء 84.
(6) ينظر: معاني القرآن واعرابه (للزجاج) 2/ 85، والكشاف (للزمخشري) 2/ 574، والجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) 5/ 294.
(7) البحر المحيط (لابي حيان) 3/ 732.
(8) التوبة 81.
(9) البحر المحيط (لابي حيان) 5/ 475، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 10/ 281.
(10) الحشر 13.

الله التي يظهرونها لكم)[1]، والمقصود هو (تَشْدِيدُ نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ عَدُوَّهُمْ مُرْهَبٌ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ الْمُسْلِمِينَ إِقْدَامًا فِي مُحَارَبَتِهِمْ إِذْ لَيْسَ سِيَاقُ الْكَلَامِ لِلتَّسْجِيلِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ قِلَّةَ رَهْبَتِهِمْ للهِ بَلْ إِعْلَامَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُمْ أَرْهَبُ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَعْظَمِ الرَّهَبَاتِ)[2].

ز ـ معنى القوّة:

قال الجوهري: (القُوَّةُ: خلاف الضعف. والقُوَّةُ: الطاقة من الحبل، وجمعها قِوًى. ورجل شديد القوى، أي شديدُ أسرِ الخَلْقِ)[3]، يقال: (قوى الله ضعفك: أي ابدلك مَكَان الضعْف قُوَّة)[4]. وقد جاءت أكثر الآيات القرانية المشتملة على هذه المادة اللغوية دالّةً على هذا المعنى، وهو الأصل اللغوي لها، وقد جاء هذا المعنى متلوناً ومتنوعاً بين قوة بأس، وقوة جسم، وقوة بطش، وقوة مكر، وغيرها وهي:

1 ـ قوة البأس:

قال الخليل: (البأس: الحرب. ورجل بَئِسٌ، قد بَؤُسَ بَآسة، أي: شُجاع)[5]، فالبأس هو الشدّة في الحرب، ثم استعمل في غيرها بمعنى: لا خوف عليك[6]. وقد جاء هذه المعنى في خمسة مواطن وهي:

أ ـ قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾[7].

ب ـ قال تعالى: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[8].

ت ـ قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾[9].

ث ـ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[10].

ج ـ قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[11].

ففي الموطن الأول كانت صفة هؤلاء العباد الذين بُعثوا إلى بني اسرائيل ـ وإن اختلف العلماء بتسميتهم[12] ـ القوّة والشدّة في الحروب[13]، وفي الموطن الثاني ذكر صفة قوم بلقيس، قال الزمخشري: (أرادوا بالقوة : قوّة الأجساد وقوّة الآلات والعدد. وبالبأس: النجدة والبلاء في الحرب)[14]. وفي الموطن الثالث ذكر صفة القوم الذين سيحاربونهم المخلّفون من الأعراب بأنهم أصحاب قوّة وشدّة في الحرب، وهؤلاء هم بنو حنيفة الذين قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عام الردّة، وهو الراجح عند أكثر العلماء[15]. وفي

(1) الكشاف (للزمخشري) 4/ 506.
(2) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 28/ 102.
(3) الصحاح (للجوهري) 6/ 2469 (قوا).
(4) المحكم (لابن سيده) 6/ 459 (قوا).
(5) العين (للخليل) 7/ 316 (بأس).
(6) ينظر: المحكم (لابن سيده) 8/ 561 (بأس).
(7) الاسراء 5.
(8) النمل 33.
(9) الفتح 16.
(10) الحديد 25.
(11) الحشر 14.
(12) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 2/ 607، والجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) 10/ 215، وفتح القدير (للشوكاني) 3/ 249.
(13) ينظر: البسيط (للواحدي) 13/ 256 ـ 258، والبحر المحيط (لابي حيان) 7/ 14.
(14) الكشاف (للزمخشري) 3/ 369، ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 8/ 236.
(15) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 4/ 340 ـ 341، ومفاتيح

الموطن الخامس وصف بأس هؤلاء اليهود والمنافقين فيما بينهم بالشدّة والقوّة، قال الزمخشري: (يعني أنّ البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا، ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدّة؛ لأنّ الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله)[1]، ففي هذه المواطن اتصف هؤلاء بقوّة بأسهم وشدّته.

أمّا الموطن الرابع فقد وصف الحديد بالقوّة والشدّة ؛ لأنه (السِّلَاح الَّذِي يُبَاشَرُ بِهِ الْقِتَالُ، وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ: فِي مَصَالِحِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ فَمَا مِنْ صِنَاعَةٍ إِلَّا وَالْحَدِيدُ آلَةٌ فِيهَا)[2].

2 ـ قوّة البطش:

قال الخليل: (البطشُ: التّناول عند الصَّولة. والأخذ الشديد في كل شيء: بطش به)[3]، يقال: (بَطَشَ بِهِ يَبْطش بَطْشاً: سَطا عَلَيْهِ فِي سُرْعة)[4].

وقد ورد هذا المعنى في ثلاثة موطن وهي:

أ ـ قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[5].

ب ـ قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾[6].

الخطاب في كلا الموطنين لكفار قريش الذين لم يكونوا أكثر بطشاً من الأمم السابقة، فقد كانوا أكثر عدداً وعدّةً وقوّةً منهم، ومما يدلّ على شدّة البطش هذه أنهم نقّبوا في البلاد فلم ينفعهم هذا مع الكفر والتكذيب، فأنزل الله بهم العقاب، فلتحذر قريش في مسلكها هذا أن يحل بها ما حلّ بالأولين وقد رأوا آثارهم التي لم تغن عنهم شيئاً عندما جاء أمر الله[7].

ت ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[8]. قال الزمخشري: (البطش: الأخذ بالعنف؛ فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم : وهو بطشه بالجبابرة والظلمة ، وأخذهم بالعذاب والانتقام)[9]، أي: أن بطشه ﷻ عند أخذ الظالمين قويٌّ أليم.

3 ـ قوّة الثبات:

قال ابن دريد: (ثَبت الشَّيْء يثبت ثباتا وثبوتا فَهُوَ ثَابت. وَرجل ثَبت الْمَقَام وثبيت الْمَقَام إِذا كَانَ شجاعا لَا يبرح موقفه)[10]، أي: أنه مستقرٌّ على موقفه دائمٌ عليه لا يحيد عنه. وقد ورد هذا المعنى في موطنين وهما:

أ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[11].

قيل في الأنداد هي الأصنام التي كان المشركون يعبدونها في زمن رخائهم، وقيل هم الأسياد والرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم في

الغيب (للرازي) 28/ 76 ـ 77، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 26/ 171.

(1) الكشاف (للزمخشري) 4/ 507، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 28/ 106.

(2) البحر المحيط (لابي حيان)10/ 114، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 27/ 417.

(3) العين (للخليل) 6/ 240 (بطش).

(4) لسان العرب (لابن منظور) 6/ 267 (بطش).

(5) الزخرف 8.

(6) ق 36.

(7) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 4/ 394، والبحر المحيط (لابي حيان) 9/ 360، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 25/ 166 و26/ 322 ـ 323.

(8) البروج 12.

(9) الكشاف (للزمخشري) 4/ 733، ينظر: فتح القدير (للشوكاني) 5/ 501.

(10) جمهرة اللغة (لابن دريد) 1/ 252 ، ينظر: مقاييس اللغة (لابن فارس) 1/ 399 (ثبت).

(11) البقرة 165.

أوامرهم ونواهيهم[1]، إلا أنّ (حُبِّ أَهْلِ الْأَوْثَانِ لِأَوْثَانِهِمْ وَالتَّابِعِينَ لِمَتْبُوعِهِمْ)[2]، لم تكن متساوية بمحبّة المؤمنين لله ﷻ ؛ لأنّ محبة المؤمنين لله أقوى ثباتاً ودواماً من المشركين الذين يعدلون عن محبّتهم لهم بحسب أحوال أمنهم وفزعهم، إذ المقصود هو (تَنْقِيصُ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى فِي إِيمَانِهِمْ بِآلِهَتِهِمْ فَكَثِيرًا مَا كَانُوا يُعْرِضُونَ عَنْهَا إِذَا لَمْ يَجِدُوا مِنْهَا مَا أَمَّلُوهُ)[3]. فهؤلاء المشركون الذين اعتدوا على حقّه ﷻ في العبادة والتوحيد والمحبّة لا بدّ أنّ لهم العذاب القوي الشديد، قال الزجاج: (والمعنى ولو يرى الذين ظلموا شدَّةَ عذاب اللهّ وقوتَه لعلموا مضرة اتخاذهم الأنداد،)[4].

ب ـ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[5]. إنّ حال المنافقين هو كحال اليهود عندما كُتب عليهم القتل والخروج من الديار حين استُتِيبوا من عبادة العجل بأنّهم لم يُطع منهم إلا القليل، فكذلك هؤلاء المنافقون لم يفعلوا ذلك إلا قليلا منهم رياءً وسمعةً ؛ لئلا يُكشف أمرهم ويظهر كفرهم ؛ لصعوبته عليهم، ولو أنّهم فعلوا ما يُوعظون به من اتباع الرسول ﷺ والانقياد لأوامره ونواهيه لكان ذلك أثبت لايمانهم وأدوم من الاضطراب الذي هم فيه[6].

4 ـ قوّة الجسم وقدرته:

جاء في (تهذيب اللغة): (الجُسُمُ: الأُمُور العِظَامُ)[7]، (وقد جسم الشيء، أي عَظُمَ، فهو جَسيمٌ وجُسامٌ بالضم)[8]، وما الجِسْم إلا (جماعَة الْبدن والأعضاء من النَّاس وَغَيرهم من الْأَنْوَاع الْعَظِيمَة الْخلق)[9].

وقد ورد هذا المعنى في ثمانية مواطن وهي:

أ ـ قال تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[10].

ب ـ قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[11].

ت ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[12].

ث ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى

(1) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 1/ 237 ـ 238، ومفاتيح الغيب (للرازي) 4/ 174 ـ 175، وفتح القدير (للشوكاني) 1/ 190 ـ 191.
(2) الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) 2/ 204.
(3) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 2/ 92.
(4) معاني القرآن واعرابه (للزجاج) 1/ 238، ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 2/ 91.
(5) النساء 66.
(6) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 1/ 562، والبحر المحيط (لابي حيان) 3/ 697.
(7) تهذيب اللغة (لأزهري) 10/ 317 (جسم).
(8) الصحاح (للجوهري) 5/ 1887 (جسم).
(9) المحكم (لابن سيده) 7/ 282 (جسم).
(10) التوبة 69.
(11) القصص 78.
(12) الروم 9.

ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[1].

ج ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[2].

ح ـ قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[3].

خ ـ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[4].

د ـ قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾[5].

في جميع هذه المواطن يبيّن الله ﷻ حال الأمم والقرى السابقة لقريش وما كانوا عليه من قوّة الأجسام، وكثرة الأموال والأولاد، وكثرة العَدد والعُدد، وإثارة الأرض وعمارتها وغيرها،كل هذه لم تغنِ عنهم من الله شيئاً عندما خاضوا في المعاصي من الكفر والتكذيب واتباع الشهوات والاستمتاع بالملذات وغيرها فأنزل الله ﷻ بهم العقاب وأذاقهم مختلف أنواع العذاب، كلٌ بعمله. فهذا قارون عندما اغترّ بكثرة ماله وقوّته وجموعه ولم يتعظ بمن قبله أهلكه الله[6]، وجعله لمن خلفه آية كما في الموطن الثاني، وهذه عاد التي كانت مخصوصة بكبر الاجسام وشدّة القوّة فاغترّوا بها واستكبروا على غيرهم، فأورثهم هذا الاستكبار الاستخفاف بهم فادّعوا أنهم لا يُغلبون ونسوا أنّ الله الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة، فأهلكهم بصنيعهم هذا[7]. كما في الموطن السابع . وغيرها من الأمم[8]. فـ (كُلٌّ أُولَئِكَ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً مِنْ قُرَيْشٍ وَأَكْثَرَ تَعْمِيرًا فِي الْأَرْضِ، وَكُلُّهُمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلٌ، وَكُلُّهُمْ كَانَتْ عَاقِبَتُهُمُ الِاسْتِئْصَالَ)[9].

فالشدّة تدل على قوّة الأجسام وقدرتها على الأعمال الشاقة، وكثرة الأموال تدل على الخيرات التي كانوا فيها من زرع وأنعام وتجارة وغيرها، وكثرة الأولاد تدل على الأمن وسلامة الأنفس من الآفات والمجاعات وغيرها، وإثارة الأرض تدل على خصوبتها وكثرة انتاجها وطيب مناخها وغيرها[10]. فأنتم ياكفار قريش على ضعفكم وقلة خيراتكم أولى بالعذاب منهم إنْ كفرتم وكذبتم، فحالكم لا يداني (أَحْوَالَ تِلْكَ الْأُمَمِ فِي الْقُوَّةِ ، وَنَاهِيكَ بِعَادٍ فَقَدْ كَانُوا مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ فِي الْقُوَّةِ فِي سَائِرِ أُمُورِهِمْ)[11].

(1) فاطر 44.
(2) غافر 21.
(3) غافر 82.
(4) فصلت 15.
(5) محمد 13.
(6) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 25/ 16، والبحر المحيط (لابي حيان) 8/ 326.
(7) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 27/ 552، وفتح القدير (للشوكاني) 4/ 585.
(8) ينظر: معاني القرآن واعرابه (للزجاج) 5/ 9، والكشاف (للزمخشري) 4/ 394، والمحرر الوجيز (لابن عطية) 4/ 636، ومفاتيح الغيب (للرازي) 16/ 98 ـ 99، والبحر المحيط (لابي حيان) 9/ 42، ومدارك التنزيل (للنسفي) 3/ 368.
(9) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 21/ 56.
(10) ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 10/ 257.
(11) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 21/ 57.

5 ـ قوّة الخلق وتماسكه:

جاء في (العين): (رَجُلٌ شَدِيدُ القُوَى أَي شَدِيدُ أَسْرِ الخَلْقِ مُمَرُّه ، أخذ من قُوى الحبل)[1]. وقد ورد هذا المعنى في موطن واحد وهو: قاله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[2].

قال الزمخشري: (ملك شديد قواه ،...، وهو جبريل عليه السلام ، ومن قوّته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود ، وحملها على جناحه ، ورفعها إلى السماء ثم قلبها ، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين ، وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أوحى من رجعة الطرف ،...)[3]، فهو يستطيع (تَنْفِيذِ مَا يَأْمُرُ اللهُ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ العقلية وَالْجُسْمَانِيَّةِ، فَهُوَ الْمَلَكُ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى الرُّسُلِ بِالتَّبْلِيغِ)[4].

6 ـ قوّة الرُّكن والمَنَعَة:

قال الجوهري: (وركن الشيء: جانبه الاقوى. وهو يأوي إلى رُكْنٍ شديدٍ، أي عزّ ومَنَعَةٍ. وجبلٌ رَكِينٌ: له أَرْكانٌ عالية)[5]. وقد ورد في موطن واحد وهو: قاله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[6].

ذهب بعض العلماء إلى أنّ الرّكن هو العشيرة[7]، وبعضهم إلى أنّه الموضع الحصين[8]، والراجح هو كلّ ما يتقوّى به من عشيرة وسلطان وجند وموضع حصين وغيرها. قال الزمخشري: (والمعنى لو قويت عليكم بنفسي ، أو أويت إلى قويّ أستند إليه وأتمنع به فيحميني منكم . فشبه القويّ العزيز بالركن من الجبل في شدّته ومنعته)[9].

7 ـ قوّة الريح :

قال الجوهري: (ويوم راح: شديد الريح. فإذا كان طيِّب الريح قالوا: رَيِّحٌ بالتشديد)[10]، (وَقَدْ راحَ يَراحُ رَيْحاً إِذا اشْتَدَّتْ رِيحُه)[11]. وقد ورد هذا المعنى في موطن واحد وهو: قاله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾[12]. قال القرطبيّ: (وَالْمَعْنَى: أَعْمَالُهُمْ مُحْبَطَةٌ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ ،...، فَضَرَبَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ مَثَلًا لِأَعْمَالِ الْكُفَّارِ فِي أَنَّهُ يَمْحَقُهَا كَمَا تَمْحَقُ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الرَّمَادَ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ)[13]، أي: (شُبِّهَتْ أَعْمَالُهُمُ الْمُتَجَمِّعَةُ الْعَدِيدَةُ بِرَمَادٍ مُكَدَّسٍ فَإِذَا اشْتَدَّتِ الرِّيَاحُ بِالرَّمَادِ انْتَثَرَ وَتَفَرَّقَ تَفَرُّقًا لَا يُرْجَى مَعَهُ اجْتِمَاعُهُ)[14].

8 ـ قوّة الزّلزلة:

جاء في (العين): (الزَّلْزَلة: تحريكُ الشَّيء ، والزِّلزال أيضاً)[15]، يقال: (زَلْزَلَهُ ، زَلْزَلَةً، وزِلْزَالًا، مُثَلَّثَةً: حَرَّكَهُ

(1) العين (للخليل) 5/ 236، ينظر: تاج العروس (للزبيدي) 39/ 362 (قوي).
(2) النجم 5.
(3) الكشاف (للزمخشري) 4/ 419، ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 10/ 10.
(4) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 27/ 95.
(5) الصحاح (للجوهري) 5/ 2126، ينظر المحكم (لابن سيده) 6/ 803 (ركن).
(6) هود 80.
(7) ينظر: معاني القرآن (للفرّاء) 2/ 24، والمحرر الوجيز(لابن عطية) 3/ 210.
(8) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 18/ 380.
(9) الكشاف (للزمخشري) 2/ 392، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 12/ 130.
(10) الصحاح (للجوهري) 1/ 369 ، ينظر: مقاييس اللغة (لابن فارس) 2/ 456 (روح).
(11) لسان العرب (لابن منظور) 2/ 455 (روح).
(12) ابراهيم 18.
(13) الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) 9/ 353، ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 6/ 423.
(14) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 13/ 212.
(15) العين (للخليل) 7/ 350 (زلّ).

شَدِيداً، وأَزْعَجَهُ)[1]. وقد ورد هذا المعنى في موطن واحد وهو: قاله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[2]. قال الزجاج: (ومعنى (زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا)، أزْعِجوا إزعاجاً شديداً وحُرِّكوا)[3]، أي: (أنّ الخوف أزعجهم أشد الإزعاج)[4]؛ (لِأَنَّ أَحْزَابَ الْعَدُوِّ تَفُوقُهُمْ عددا وعدة)[5].

9 ـ قوّة القسوة (الصلابة):

قال ابن فارس: (الْقَافُ وَالسِّينُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَصَلَابَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الْحَجَرِ الْقَاسِي. وَالْقَسْوَةُ: غِلَظُ الْقَلْبِ، وَهِيَ مِنْ قَسْوَةِ الْحَجَرِ)[6]. وقد ورد هذا المعنى في موطن واحد وهو: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[7]. وصف الله ﷻ قلوب أهل الكتاب[8] بالغلظة والشدّة ؛ لأنها لم تتعظ بآيات الله، فهي بهذه الصفة أشبهت قساوة الحجارة أو أشدّ منها، قال ابو حيان: (وَكَنَّى بِالْقَسْوَةِ عَنْ نُبُوِّ الْقَلْبِ عَنِ الِاعْتِبَارِ، وَأَنَّ الْمَوَاعِظَ لَا تَجُولُ فِيهَا ،...، فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ : يُرِيدُ فِي الْقَسْوَةِ ،...، إِذِ الْحَجَرُ لَا يَتَأَثَّرُ بِمَوْعِظَةٍ، وَيَعْنِي أَنَّ قُلُوبَهُمْ صُلْبَةٌ، لَا تُخَلْخِلُهَا الْخَوَارِقُ، كَمَا أَنَّ الْحَجَرَ خُلِقَ صُلْبًا ،...، وَكَأَنَّ قُلُوبَهُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ: قُلُوبٌ كَالْحِجَارَةِ قَسْوَةً، وَقُلُوبٌ أشد قسوة من الحجارة، فَأَجْمَلَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ، ثُمَّ فَصَّلَ وَنَوَّعَ إِلَى مُشَبَّهٍ بِالْحِجَارَةِ، وَإِلَى أَشَدَّ مِنْهَا، إِذْ مَا كَانَ أَشَدَّ، كَانَ مُشَارِكًا فِي مُطْلَقِ الْقَسْوَةِ)[9]، بل إن الحجارة على قساوتها (قَدْ يَعْتَرِيهَا التَّحَوُّلُ عَنْ صَلَابَتِهَا وَشِدَّتِهَا بِالتَّفَرُّقِ وَالتَّشَقُّقِ وَهَذِهِ الْقُلُوبُ لَمْ تُجْدِ فِيهَا مُحَاوَلَةٌ)[10].

10 ـ قوّة الظهر (المآزرة):

جاء في (العين): (الأَزْرُ: الظّهر، وآزَرَهُ، أي: ظاهره وعاونه على أمر)[11]، فهو يدلّ على (الْقُوَّةُ وَالشِّدَّةُ، يُقَالُ: تَأَزَّرَ النَّبْتُ: إِذَا قَوِيَ وَاشْتَدَّ)[12]. وقد ورد هذا المعنى في موطن واحد وهو: قاله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾[13].

قال القرطبيّ: ((اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) أَيْ: ظَهْرِي. وَالْأَزْرُ الظَّهْرُ مِنْ مَوْضِعِ الْحَقْوَيْنِ، وَمَعْنَاهُ تَقْوَى بِهِ نَفْسِي)[14]، (فَيَكُونُ الْكَلَامُ تَمْثِيلًا لِهَيْئَةِ الْمُعِينِ وَالْمُعَانِ بِهَيْئَةِ مَشْدُودِ الظَّهْرِ بِحِزَامٍ وَنَحْوِهِ)[15].

11 ـ قوّة العتوّ:

قال الخليل: (عتا عُتُوّاً وعِتِيّاً إذا استكبر فهو عاتٍ)[16]، (والعاتي: الشَّديد الدُّخول فِي الْفساد، المتمرد الَّذِي لَا يقبل موعظة. وتَعَتّى فلَان: لم يطع)[17]. وقد ورد هذا المعنى في موطن واحد وهو:

(1) تاج العروس (للزبيدي) 29/ 132 (زلّ).
(2) الأحزاب 11.
(3) معاني القرآن واعرابه (للزجاج) 4/ 219، ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 8/ 459.
(4) الكشاف (للزمخشري) 3/ 535.
(5) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 21/ 283.
(6) مقاييس اللغة (لابن فارس) 5/ 87، ينظر: لسان العرب (لابن منظور) 15/ 180 (قشى).
(7) البقرة 74.
(8) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 3/ 555، والجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) 1/ 462 ـ 463.
(9) البحر المحيط (لابي حيان) 1/ 423.
(10) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 1/ 564.
(11) العين (للخليل) 7/ 382 (أزر).
(12) مقاييس اللغة (لابن فارس) 1/ 102 (أزر).
(13) طه 29 ـ 31.
(14) الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) 11/ 193.
(15) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 16/ 213.
(16) العين (للخليل) 2/ 226 (عتو).
(17) المحكم (لابن سيده) 2/ 333 (عتو).

قالـه تعـالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾[1].

قـال الـرازي: (بَـيَّنَ تَعَـالَى أَنَّـهُ يَنْـزِعُ مِـنْ كُلِّ فِرْقَـةٍ مَـنْ كَانَ أَشَـدَّ عُتُـوًّا وَأَشَـدَّ تمـردا ليعلـم أن عذابـه أشـد)[2]، وهـذا (تَهْدِيـدٌ لِعُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِثْلِ أَبِي جَهْلٍ وَأُمَيَّةَ بْنِ خلف ونظرائهم)[3].

12 ـ قوّة العذاب:

قـال الجوهـري: (العـذاب: العقوبـة، وقـد عذبتـه تعذيبـا)[4]، (وَأَصْلُـهُ فِي كَلَامِ الْعَـرَبِ الـضَّرْبُ ثُـمَّ اُسْـتُعْمِلَ فِي كُلِّ عُقُوبَـةٍ مُؤْلِمَةٍ وَاسْـتُعِيرَ لِلْأُمُـورِ الشَّـاقَّةِ فَقِيـلَ السَّـفَرُ قِطْعَـةٌ مِـنْ الْعَـذَابِ)[5]. وقيـل أصلـه (فِي كَلَامِ العَـرَبِ مِـنَ العَـذْبِ وَهُـوَ المَنْـعِ، يُقَـالُ: عَذَبْتُـه عَنْـهُ أَي مَنَعْتُه، وعَـذَبَ عُذُوبـاً أَي امْتَنَـعَ، وسُـمِّيَ المَـاءُ الحُلْـوُ عَذْبـاً لِمَنْعِـهِ العَطَـش، والعَـذَابُ عَذَابـاً لِمَنْعِـهِ المُعَاقَـبَ مـن عَـوْدِهِ لِمِثْـلِ جُرْمِـه)[6].

العـذاب أو العقـاب لا يكـون إلا لأجـل مخالفـة يقـوم بهـا المُكلّـف بأمـر مـا، وهـذه المخالفـة قـد تكـون مخالفـةً لمنهـج سـماويّ كالكفـر والـشرك وارتـكاب المعـاصي وغيرهـا، وقـد تكـون مخالفـةً لأمـر دنيـوي كالعصيـان وانتهـاك المحرمـات وغيرهـا، فيترتـب عـلى هـذه المخالفـات عقوبـات قـد تكـون في الدنيـا، وقـد تكـون في الآخـرة، وقـد تكـون فيهـما. وسـوف اتناولهـا عـلى حسـب الترتيـب المذكـور:

أ ـ قوّة عذاب الدنيا:

تنوعـت قـوّة العقـاب في الحيـاة الدنيـا بـين هـلاك لقـرى وأقـوام، وبـين عقوبـات الحـكّام والسـلاطين، وبـين عقوبـات المخالفـين وغيرهـا، فمنهـا مـا هـو مختـصّ، ومنهـا مـا هـو عـام في جميـع المخالفـين مـن الأمـم، ومنهـا مـا هـو لبعـض المخالفـين من المسـلمين، ومنهـا مـا هـو لغـير البـشر، وهـي عـلى النحـو الآتي:

1 ـ عذاب سحرة فرعون:

ورد تعذيـب فرعـون للسـحرة الذيـن آمنـوا بموسـى عليه السلام في قولـه تعـالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾[7]. أي: لتعلمـن مـن هـو أقـوى عذابـاً وأدوم أعـذابي أم عـذاب ربّ موسـى ؟ وهـذا عـلى سـبيل الاسـتهزاء بـه عليه السلام ، وموطـن غـروره[8].

2 ـ عذاب الفتنة:

ورد هـذا العـذاب في قولـه تعـالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[9]. قيـل في الفتنـة هـي إقـرار المنكـر بـين أظهرهـم، وقيـل افـتراق الكلمـة، وقيـل فتنة يـوم الجمـل[10]. قـال الـرازي: (وَالْمَعْنَـى: وَاحْـذَرُوا فِتْنَةً إِنْ نَزَلَـتْ بِكُـمْ لَمْ تَقْتَـصِرْ عَـلَى الظَّالِمِينَ خَاصَّـةً بَـلْ تَتَعَـدَّى إِلَيْكُـمْ جَمِيعًـا وَتَصِـلُ إِلَى الصَّالِـحِ وَالطَّالِـحِ)[11]، (هَـذَا وَعِيـدٌ شَـدِيدٌ مُنَاسِـبٌ لِقَوْلِـهِ لَا تُصِيبَـنَّ الَّذِيـنَ ظَلَمُـوا مِنْكُـمْ خَاصَّـةً إِذْ فِيـهِ حَـثٌّ عَـلَى لُـزُومِ الِاسْـتِقَامَةِ خَوْفًـا مِـنْ عِقَـابِ اللَّهِ)[12]، فالمقصـود هـو (شِـدَّةِ التَّحْذِيـرِ ،...،

(1) مريم 69.
(2) مفاتيح الغيب (للرازي) 21/ 557.
(3) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 16/ 148.
(4) الصحاح (للجوهري) 1/ 178 (عذب).
(5) المصباح المنير (للفيومي) 2/ 398 (عذب).
(6) تاج العروس (للزبيدي) 3/ 329 ـ 330 (عذب).
(7) طه 71.
(8) ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 7/ 358، وفتح القدير (للشوكاني) 3/ 444، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 16/ 265.
(9) الانفال 25.
(10) ينظر: الكشاف(للزمخشري) 2/ 201، والجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) 7/ 391.
(11) مفاتيح الغيب (للرازي) 15/ 473.
(12) البحر المحيط (لابي حيان) 5/ 306.

لِمَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ، وَذَلِكَ يَشْمَلُ مَنْ يُخَالِفُ الْأَمر بالاستجابة)[1].

3 ـ عذاب المخالفة: وردت عقوبة المخالفة وعذابها في أربعة مواطن، جميعها في المسلمين وهي:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[2].

ب ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[3].

ت ـ قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٩٧ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[4].

ث ـ قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[5].

ففي المواطن الثلاثة الأولى يجب على المسلمين فيها الالتزام بأوامر الله ﷻ ونواهيه التي بيّنها في مناسك الحج والعمرة وعدم مخالفتها، وأن لا يحملكم بغضكم لمشركي العرب إلى انتهاك حرمات وشعائر هذه المناسك، بل يجب المحافظة على هذه الحدود[6]؛ (لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ شِدَّةَ الْعِقَابِ عَلَى الْمُخَالَفَةِ كَانَ حَرِيصًا عَلَى تَحْصِيلِ التَّقْوَى، إِذْ بِهَا يَأْمَنُ مِنَ الْعِقَابِ)[7].

أمّا في الموطن الرابع ففيه تحذير للمسلمين من العقوبة التي ستحلّ بهم إن خالفوا أوامر الرسول ﷺ ونواهيه في قسمة الغنيمة وغيرها، قال الزمخشري: (وَاتَّقُواْ اللهَ أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالف رسوله، والأجود أن يكون عاماً في كل ما أتى رسول الله ﷺ ونهى عنه ، وأمر الفيء داخل في عمومه)[8].

4 ـ عذاب المشركين:

تنوعت صور عذاب المشركين من العرب بين تخويفٍ بوقوعه عليهم متمثّلاً بما حلَّ بالأمم السابقة والقرى المحيطة بهم، وقد جاء هذا في خمسة مواطن وهي:

أ ـ قوله تعالى: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ

(1) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 9/ 318.
(2) البقرة 196.
(3) المائدة 2.
(4) المائدة 97 و 98.
(5) الحشر 7.
(6) ينظر: معاني القرآن واعرابه (للزجاج) 1/ 266، والكشاف (للزمخشري) 1/ 269، ومفاتيح الغيب (للرازي) 11/ 283، ومدارك التنزيل (للنسفي) 1/ 478، والبحر المحيط (لابي حيان) 4/ 170 و 374، والتحرير والتنوير(لابن عاشور) 2/ 230 و 6/ 88 و 7/ 61.
(7) البحر المحيط (لابي حيان) 2/ 271.
(8) الكشاف (للزمخشري) 4/ 502، ينظر: التحرير والتنوير(لابن عاشور) 28/ 86 ـ 87.

ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

ب ـ قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

ت ـ قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3].

ث ـ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[4].

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾[5].

ففي الموطن الأول فيه تحذيرٌ لمشركي العرب من أن يبدّلوا النعم التي أنعم الله ﷻ فيها عليهم لا سيما إرساله ﷺ، فكما أنّ شقاء بني اسرائيل كان بتبديل الآيات والاعراض عنها، كذلك سيكون شقاؤكم إنْ بدّلتم هذه الآيات بعد أن أبصرتم صدقها، قال أبو حيان: (وَلَفْظُ: مَنْ يُبَدِّلْ، عَامٌّ وَهُوَ شَرْطٌ، فَيَنْدَرِجُ فِيهِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُّ مُبَدِّلِ نِعْمَةٍ كَكُفَّارِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، فَإِنَّ بَعْثَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ نِعْمَةٌ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ بَدَّلُوا بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا وَقَبُولِهَا الْكُفْرَ)[6].

وكذلك الأمر في الموطنين الثاني والثالث، فكما أخذ الله ﷻ فرعون وأتباعه ومَن قبله من الأمم السابقة كقوم عاد وثمود وقوم صالح وغيرهم بكفرهم وتكذيبهم، كذلك هو الحال بالنسبة لكم ياكفار قريش[7]، (وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى سَطْوَةِ اللهِ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِآيَاتِهِ وَكَذَّبَ بِهَا)[8].

أمّا في الموطنين الرابع والخامس فقد كان التحذير فيه عن القرى التي أهلكها الله ﷻ بكفرهم وظلمهم، وهم يمرّون عليها في أسفارهم، وعن القرى التي أنزل الله فيها العذاب من قتلٍ وسبيٍ وتسليطٍ للمسلمين عليها وأخذ الجزية وغيرها[9]، (فَكَوْنُ اللهِ شَدِيدَ الْعِقَابِ أَمْرٌ مُحَقَّقٌ مَعْلُومٌ فَذِكْرُهُ لَمْ يُقْصَدْ مِنْهُ الْفَائِدَةُ لِأَنَّهَا مَعْلُومَةٌ بَلِ التَّهْدِيدُ،...، وَمَعْنَى شِدَّةِ عِقَابِهِ: أَنَّهُ لَا يُفْلِتُ الْجَانِيَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْعِقَابِ)[10].

وبين تحقيق لهذا العذاب، ومشاهدة حاضرة له منهم، وهو ما حلّ بهم يوم بدرٍ من قتلٍ وسبيٍ وأسرٍ وغيرها، وقد ورد هذا في أربعة مواطن وهي: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[11]. و﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[12]. و﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ

(1) البقرة 211.
(2) آل عمران 11.
(3) الأنفال 52.
(4) هود 102.
(5) الاسراء 58.
(6) البحر المحيط (لابي حيان) 2/ 351، ينظر: الجامع لأحكام القران (للقرطبي) 3/ 28.
(7) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 1/ 368، ومفاتيح الغيب (للرازي) 7/ 153 ـ 154 و 15/ 495 ـ 496، وإرشاد العقل السليم(لابي السعود) 4/ 28، والتحرير والتنوير(لابن عاشور) 3/ 174 ـ 175 و 10/ 44.
(8) البحر المحيط (لابي حيان) 3/ 38.
(9) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 2/ 402، ومفاتيح الغيب (للرازي) 18/ 396 و 20/ 358، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 12/ 160 و 15/ 141.
(10) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 2/ 293.
(11) الأنفال 13.
(12) الأنفال 48.

وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[1]. و ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[2].

ذهب الكثير من العلماء إلى أنّ المراد من العذاب الشديد في هذه الآيات هو ما حلّ بالمشركين من أنواع العذاب وأصناف العقاب المختلفة من ضرب للأعناق وقطع للأطراف، وأسر واستيلاء وغيرها في يوم بدر، قال ابو حيان: فـ (أَخْرَجَهُمْ مِنْ مَكَّةَ وَقَتَلَهُمْ وَأَثْبَتَهُمْ فِي قَلِيبِ بَدْرٍ، فَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مَكِرَاتِهِمْ جَمِيعًا وَحَقَّقَ فِيهِمْ قَوْلَهُ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[3])[4]، فألقاهم الله ﷻ في هذه الوجوه الكثيرة من الخزي والنكال، وأنّ هذا الذي نزل بهم في هذا اليوم ما هو إلا شيء قليل مما أعدّه الله لهم يوم القيامة من العذاب الشديد[5].

5 ـ عذاب الهدهد:

ورد هذا العذاب في قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾[6]. أراد نبي الله سليمان عليه السلام أن يُنزل بالهدهد أقوى العذاب ؛ لأنه ذهب بدون إذن منه عليه السلام له، إنْ لم يأتي بما يبرر غيابه هذا، وقد قال العلماء في تعذيبه هذا أقوالاً كثيرة منها : (نَتْفُ الرِّيشِ وَالْإِلْقَاءُ فِي الشَّمْسِ، وَقِيلَ أَنْ يُطْلَى بِالْقَطِرَانِ وَيُشَمَّسُ، وَقِيلَ أَنْ يُلْقَى لِلنَّمْلِ فَتَأْكُلُهُ، وَقِيلَ إِيدَاعُهُ الْقَفَصَ، وَقِيلَ التَّفْرِيقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِلْفِهِ، وَقِيلَ لَأُلْزِمَنَّهُ صُحْبَةَ الْأَضْدَادِ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَضْيَقُ السُّجُونِ مُعَاشَرَةُ الْأَضْدَادِ، وَقِيلَ لَأُلْزِمَنَّهُ خِدْمَةَ أَقْرَانِهِ)[7]، فـ (بَدَأَ أَوَّلًا بِأَخَفِّ الْعِقَابَيْنِ، وَهُوَ التَّعْذِيبُ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِالْأَشَدِّ، وَهُوَ إِذْهَابُ الْمُهْجَةِ بِالذَّبْحِ ،...، وَالْمَعْنَى: إِنْ أَتَى بِالسُّلْطَانِ، لَمْ يَكُنْ تَعْذِيبٌ وَلَا ذَبْحٌ، وَإِلَّا كَانَ أَحَدُهُمَا)[8].

ب ـ قوّة عذاب الآخرة:

لا شكّ أنّ عذاب الآخرة هي النار التي أعدّها الله ﷻ للكافرين، إلا أنّ الداخلين فيها مختلفون بحسب أعمالهم التي أوجبت لهم هذه الدار، وقد صرّح القرآن الكريم ببعض الأسماء الداخلة فيها ولم يُصرّح بالبعض الآخر، بل جعله عام في الجميع، ويمكن تقسيم الداخلين فيها على النحو الآتي:

1 ـ عذاب آل فرعون:

ورد هذا في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[9]. قال ابو السعود: ((أدخلوا آلَ فرعونَ أشدَّ العذابِ) أي : عذابَ جهنَم فإنَّه أشدُّ ممَّا كانُوا فيه أو أشدَّ عذابِ جهنَم فإنَّ عذابَها ألوانٌ بعضُها أشدُّ من بعضٍ)[10]، و(هَذَا ذِكْرُ عَذَابِ الْآخِرَةِ الْخَالِدِ)[11].

2 ـ عذاب الكافرين:

ورد عذاب الكافرين من الأمم التي حق عليهم عذاب الآخرة الشديد في أحد عشر موطناً، من العرب وغيرهم من الأمم السابقة وهي:

(1) فاطر 10.
(2) فصلت 27.
(3) الأنفال 30.
(4) البحر المحيط (لابي حيان) 9/ 19.
(5) ينظر: الكشاف (للزمخشري) 4/ 203، ومفاتيح الغيب (للرازي) 15/ 464، والبحر المحيط (لابي حيان) 5/ 288 و 335، وفتح القدير (للشوكاني) 2/ 360 – 361 و 4/ 392، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 9/ 284 و 22/ 274 و 24/ 279.
(6) النمل 21.
(7) مفاتيح الغيب (للرازي) 24/ 550.
(8) البحر المحيط (لابي حيان) 8/ 224.
(9) غافر 46.
(10) إرشاد العقل السليم (لابي السعود) 7/ 279، ينظر: فتح القدير (للشوكاني) 4/ 567.
(11) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 24/ 159.

أ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝٦٩ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾[1].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

ت ـ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾[3].

ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[4].

ج ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[5].

ح ـ قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[6].

خ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[7].

د ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[8].

ذ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾[9].

ر ـ قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[10].

ز ـ قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾[11].

أعدّ الله ﷻ عذاب جهنم للكافرين الذين أشركوا به غيره، وافتروا عليه باتخاذ الولد، والاسراف في المعاصي، وإذاء المسلمين وتشكيكهم في دينهم، وغيرها من الأعمال التي أوجبت لهم هذا العذاب.

3 ـ عذاب المنافقين:

ورد هذا العذاب في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[12]. قال القرطبي: ((أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ) أَيْ: لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ (عَذاباً شَدِيداً) فِي جَهَنَّمَ وَهُوَ الدَّرْكُ الْأَسْفَلُ. (إِنَّهُمْ ساءَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ) أَيْ: بِئْسَ الْأَعْمَالُ أَعْمَالُهُمْ (اتَّخَذُوا

(1) يونس 69 و 70، ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 17/ 282، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 11/ 234.
(2) الرعد 6. ينظر: معاني القرآن واعرابه (للزجاج) 3/ 140، والبحر المحيط (لابي حيان) 6/ 354.
(3) طه 127. ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 22/ 112، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 16/ 333.
(4) سبأ 46. ينظر: معاني القرآن واعرابه (للزجاج) 4/ 257، ومفاتيح الغيب (للرازي) 25/ 215.
(5) فاطر 7. ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 26/ 224، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 22/ 262 ـ 263.
(6) ص 26. ينظر: الكشاف (للزمخشري) 4/ 90، والجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) 15/ 189.
(7) الشورى 16. ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 9/ 330، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 25/ 65 ـ 66.
(8) الشورى 26. ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 27/ 598، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 25/ 91.
(9) ق 26. ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 28/ 137، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 26/ 312.
(10) الحديد 20. ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 29/ 464، والبحر المحيط (لابي حيان) 10/ 110.
(11) الطلاق 10. ينظر: الكشاف (للزمخشري) 4/ 564، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 28/ 336.
(12) المجادلة 15.

أَيْمانُهُمْ جُنَّةً) يَسْتَجِنُّونَ بِهَا مِنَ الْقَتْلِ)[1].

4 ـ عذاب اليهود:

ورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]. هذه الآية تصور حال اليهود الذين كانوا في المدينة من بني قريضة وبني النضير بعد أن نكثوا العهود التي اتخذها الله ﷻ عليهم من ترك القتل والاخراج والمظاهرة والفداء، فأعرضوا عنها جميعاً فقتل بعضهم بعضاً، وأخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وتعاونوا على ذلك، إلا فداء أسراهم ممن يقع من بعضهم أسيراً عند بعض، فوبّخهم الله ﷻ عليه، فأذاقهم الخزي في الحياة الدنيا وهو ما أصاب بني قريضة من القتل والسبي، وما أصاب بني النضير من الاجلاء[3]، وذهب بعض المفسرين إلى أنّ الخزي هو الذّم العظيم والتحقير البالغ من غير تخصيص لبعض دون بعض، وإنّما هو عام في جميع اليهود[4]. فلما كانت هذه المعصية من أشنع المعاصي التي ارتكبوها في مخالفة العهود كان جزاؤهم الخزي في الحياة الدنيا، ثم يردون إلى ما هو أشدّ وأقوى منه في الآخرة، قال الرازي: (الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّهُ أَشَدُّ مِنَ الْخِزْيِ الْحَاصِلِ فِي الدُّنْيَا)[5].

ت ـ قوّة عذاب الدنيا والآخرة: وهذا العذاب محتمل الوقوع في الدنيا والآخرة.

1 ـ عذاب الكافرين: ورد عذاب الكافرين من العرب وغيرهم في سبعة مواطن، وهي:

أ ـ قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[6]. قال أبو حيان: (لَمَّا قَرَّرَ تَعَالَى أَمْرَ الْإِلَهِيَّةِ، وَأَمْرَ النُّبُوَّةِ بِذِكْرِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ، تَوَعَّدَ مَنْ كَفَرَ بِآيَاتِ اللهِ مِنْ كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ، وَغَيْرِهَا، بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا، كَالْقَتْلِ، وَالْأَسْرِ. وَالْغَلَبَةِ، وَعَذَابِ الْآخِرَةِ: كَالنَّارِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَامٌّ دَاخِلٌ فِيهِ مَنْ نَزَلَتِ الْآيَاتُ بِسَبَبِهِمْ، وَهُمْ نَصَارَى وَفْدِ نَجْرَانَ)[7].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾[8]. أراد بالذين أجرموا هم أكابر المشركين في مكة الذين تمنّوا أن تكون لهم رسالة كما كانت للرسول ﷺ فجعل الله ﷻ عقابهم في الدنيا الذّلّ والخزي، وفي الآخرة عذاب النار ؛ يتناسب مع كبرهم وعتوهم واستحقارهم للرسول ﷺ ورسالته[9]، فـ (الصَّغَارُ وَالْعَذَابُ يَحْصُلَانِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْهَزِيمَةِ وَزَوَالِ

(1) الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي) 17/ 304، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 28/ 49.
(2) البقرة 85.
(3) ينظر: معاني القرآن واعرابه (للزجاج) 1/ 165 ـ 167، والكشاف (للزمخشري) 1/ 188، والتحرير والتنوير (لابن عاشور) 1/ 589 ـ 591.
(4) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 3/ 593.
(5) مفاتيح الغيب (للرازي) 3/ 593، ينظر: إرشاد العقل السليم (لابي السعود) 1/ 126.
(6) آل عمران 4.
(7) البحر المحيط (لابي حيان) 3/ 18، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 3/ 150.
(8) الانعام 124.
(9) ينظر: مدارك التنزيل (للنسفي) 1/ 535، والبحر المحيط(لابي حيان) 4/ 638.

السِّيَادَةِ وَعَذَابِ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْخَوْفِ،...، وَفِي الْآخِرَةِ بِإِهَانَتِهِمْ بَيْنَ أَهْلِ الْمَحْشَرِ ، وَعَذَابِهِمْ فِي جَهَنَّمَ)[1].

ت ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[2]. قال الزمخشري: (لما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل. فإن قلت: ما وجه اتصال قوله: (مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) بالويل؟ قلت: لأنّ المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد، ويضجون منه، ويقولون: يا ويلاه)[3]، (وَيُحْتَمَلُ هَذَا الْعَذَابُ أَنْ يَكُونَ وَاقِعًا بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، أَوْ وَاقِعًا بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ)[4].

ث ـ قوله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[5]. هذا البأس الشديد هو جزاء كفر الكافرين ومعاصيهم التي كانوا يعملونها، ويحتمل أن يكون (عَذَاب الْآخِرَةِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَنْدَرِجَ فِيهِ مَا يَلْحَقُهُمْ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا.)[6]، أي: (مَا يَشْمَلُ بَأْسَ عَذَابِ الْآخِرَةِ وَبَأْسَ عَذَابِ الدُّنْيَا،...، أَمَّا فِي عَذَابِ الْآخِرَةِ فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا فِي عَذَابِ الدُّنْيَا فَلِأَنَّ بَعْضَهُ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ)[7].

ج ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[8]. قال ابو حيان: (جَاءَ هَذَا الِاسْتِدْرَاكُ بِالْإِخْبَارِ عَنْ عَذَابِ اللهَّ أَنَّهُ شَدِيدٌ لِمَا تَقَدَّمَ مَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَذَابِ كَالْحَالَةِ اللَّيِّنَةِ وَهُوَ الذُّهُولُ وَالْوَضْعُ وَرُؤْيَةُ النَّاسِ أَشْبَاهَ السُّكَارَى، وَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَهَذِهِ أَحْوَالٌ هَيِّنَةٌ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهَّ شَدِيدٌ وَلَيْسَ بِهَيِّنٍ وَلَا لَيِّنٍ)[9]، أي: أنه ﷻ (صَادِقٌ بِعَذَابِهِ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ عَذَابُ الْفَزَعِ وَالْوَجَعِ، وَعَذَابُ الرُّعْبِ فِي الْآخِرَةِ بِالْإِحْسَاسِ بِلَفْحِ النَّارِ وَزَبَنِ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ)[10].

ح ـ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[11]. قال الزمخشري: (أخذناهم أوّلاً بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم ، فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرّع ، حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشدّ من الأسر والقتل وهو أطم العذاب ، فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم ، وجاء أعتاهم وأشدّهم شكيمة في العناد يستعطفك . أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك ، حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون ، كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[12])[13].

خ ـ قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[14]. قال ابن عاشور: (وَقَوْلُهُ: شَدِيدِ الْعِقَابِ إِفْضَاءٌ بِصَرِيحِ الْوَعِيدِ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْقُرْآنِ لِأَنَّ مَجِيئَهُ بَعْدَ قَوْلِهِ: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهَّ) يُفِيدُ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ مِنْ

(1) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 8/ 56.
(2) ابراهيم 2.
(3) الكشاف (للزمخشري) 2/ 505، ينظر: التحرير والتنوير (لابن عاشور) 13/ 183.
(4) البحر المحيط (لابي حيان) 6/ 407.
(5) الكهف 2.
(6) البحر المحيط (لابي حيان) 7/ 137.
(7) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 15/ 249.
(8) الحج 2.
(9) البحر المحيط (لابي حيان) 7/ 483، ينظر: إرشاد العقل السليم (لابي السعود) 6/ 92.
(10) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 17/ 191.
(11) المؤمنون 77.
(12) الروم 12.
(13) الكشاف (للزمخشري) 3/ 200، ينظر: البحر المحيط (لابي حيان) 7/ 576.
(14) غافر 3.

هَـذَا الْـكَلَام)[1]، أي: أن شـدة العـذاب لـكل مـن تمـرّد وطغـى وكـذّب بآيـات الله ﷻ وعتـا عـن أوامـره ونواهيه، وهـذا العـذاب يحتمـل أن يكـون في الدنيـا والآخـرة.

2 ـ عذاب اليهود:

ورد عذابهم هذا في أربعة مواطن وهي:

أ ـ قولـه تعـالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّصِرِينَ﴾[2]. يقصـد بالذيـن كفـروا هـم اليهـود الذيـن كفـروا بعيسـى عليه السلام وانكـروا رسـالته، فهـؤلاء هـم الذيـن لهـم العـذاب الشـديد، ففـي الدنيـا هـو (القتـل الذي نالهـم وينالهـم، وسـبي الـذراري وأخـذ الجزيـة، وعـذاب الآخـرة مـا أعـده اللهّ لهـم مـن النـار)[3].

ب ـ قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[4]. قـال الزمخـشري: ((أُمَّـةٌ مّنْهُـمْ) جماعـة مـن أهـل القريـة مـن صلحائهـم الذيـن ركبـوا الصعـب والذلـول في موعظتهـم ، حتـى أيسـوا مـن قبولهـم ، لآخريـن كانـوا لا يقلعـون عـن وعظهـم (لِمَ تَعِظُـونَ قَوْمًـا اللهُ مُهْلِكُهُـمْ) أي: مخترمهـم ومطهـر الأرض منهـم (أَوْ مُعَذِّبُهُـمْ عَذَابـاً شَـدِيدًا) لتماديهـم في الـشرّ . وإنـما قالـوا ذلـك ، لعلمهـم أن الوعـظ لا ينفـع فيهـم)[5]، (وَيُحْتَمَـلُ أَنْ يَكُـونَ الْعَـذَابُ فِي الدُّنْيَـا وَيُحْتَمَـلُ أَنْ يَكُـونَ فِي الْآخِـرَةِ)[6].

ت ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[7]. قال ابـو حيـان: (وَلَئِـنْ كَفَرْتُـمْ، أَيْ نِعْمَتِـي فَلَـمْ تَشْـكُرُوهَا، رَتَّـبَ الْعَـذَابَ الشَّـدِيدَ عَـلَى كُفْـرَانِ نِعْمَـةِ اللهَّ تَعَـالَى، وَلَمْ يُبَـيِّنْ مَحَـلَّ الزِّيَـادَةِ، فَاحْتَمَـلَ أَنْ يَكُـونَ فِي الدُّنْيَـا أَوْ فِي الْآخِـرَةِ، أَوْ فِيهِـمَا)[8].

ث ـ قولـه تعـالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[9]. إنّ بنـي النضـير الذيـن شـاقوا الله ﷻ ورسـوله ﷺ بعـدم الطاعـة، ونقضهـم العهـود، وميلهـم مـع المشركـين والمنافقـين قـد اسـتحقوا العـذاب الأليـم في الدنيـا بإجلائهـم مـن ديارهـم إلى الشـام، وفي الآخـرة عـذاب النـار[10].

13 ـ قوّة الغلظة:

قـال ابـن سـيده: (الغِلَـظُ: ضـد الرقـة، فِي الخَلْـق والطبـع وَالْفِعْـل والمنطـق والعيـش)[11]، يقـال: (غَلُـظَ الرَّجُـلُ اشْـتَدَّ فَهُـوَ غَلِيـظٌ أَيْضًـا وَفِيـهِ غِلْظَـةٌ أَيْ غَـيْرُ لَـيِّنٍ وَلَا سَـلِسٍ)[12]. وقـد ورد هـذا المعنـى في موطـن واحـد وهـو: قالـه تعـالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[13].

قـال الزمخـشري: (مـن حـق المسـلمين في كل زمـان أن يراعوا هـذا التشـدّد وهـذا التعطف: فيتشـدّدوا على مـن ليـس عـلى ملتهـم ودينهـم ويتحامـوه ، ويعـاشروا إخوتهـم في الإسـلام متعطفـين بالـبر والصلـة. وكـف

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور) 24/ 80.
(2) آل عمران 56.
(3) معـاني القـرآن واعرابـه (للزجـاج) 1/ 420، ينظـر: المحـرر الوجيـز (لابـن عطيـة) 1/ 459، ومفاتيـح الغيـب (للـرازي) 8/ 241.
(4) الأعراف 164
(5) الكشـاف (للزمخـشري) 2/ 161، ينظـر: التحريـر والتنويـر (لابـن عاشـور) 9/ 150 ـ 151.
(6) البحر المحيط (لابي حيان) 5/ 207 ـ 208.
(7) ابراهيم 7.
(8) البحـر المحيـط(لابي حيـان) 6/ 411، ينظـر: التحريـر والتنويـر(لابـن عاشـور) 13/ 194.
(9) الحشر 4.
(10) ينظـر: الكشـاف (للزمخـشري) 4/ 500، والجامـع لأحـكام القـرآن (للقرطبـي) 18/ 5، والتحريـر والتنويـر (لابـن عاشـور) 28/ 74.
(11) المحكم(لابن سيده) 5/ 477 (غلظ).
(12) المصباح المنير(للفيومي) 2/ 450 (غلظ).
(13) الفتح 29.

الأذى . والمعونة ، والاحتمال، والأخلاق السجية)[1]، أي: (غِلَاظٌ عَلَيْهِمْ كَمَا يَغْلُظُ الْأَسَدُ عَلَى فَرِيسَتِهِ)[2]، وهذه الشدّة (هِيَ الشِّدَّةُ فِي قِتَالِهِمْ وَإِظْهَارُ الْعَدَاوَةِ لَهُمْ، وَهَذَا وَصْفُ مَدْحٍ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَعَ النبي ﷺ كَانُوا هُمْ فِئَةَ الْحَقِّ وَنَشْرِ الْإِسْلَامِ فَلَا يَلِيقُ بِهِمْ إِلَّا إِظْهَارُ الْغَضَبِ للهِ وَالْحُبِّ فِي اللهِ وَالْبُغْضِ فِي اللهِ مِنَ الْإِيمَانِ)[3].

14 ـ قوة المِحَال (المكر والكيد):

قال الجوهري: (المَحْلُ: المكرُ والكيد)[4]. وفي (المحكم): (المِحالُ: الكيد وروم الْأَمر بالحيل. ومَحَلَ بِهِ يَمْحَلُ مَحْلاً، كاده بسعاية إِلَى السُّلْطَان)[5]، يقال: (فُلَانٌ يُمَاحِلُ عَنِ الإِسلام أَي يُماكِر ويُدافِع)[6]، وقد ورد هذا المعنى في موطن واحد وهو: قاله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[7].

ذكر العلماء معانٍ كثيرة لـ (المِحال)[8]، ومنها ما ذكره الزمخشري: (والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه ، يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون)[9]، وهو الراجح؛ لأن المجادلة تعني المخاصمة ومراجعة الكلام[10]، وهذا يتطلب المكر والكيد بالمُخَاصَم .

(1) الكشاف (للزمخشري) 4/ 348، ينظر: إرشاد العقل السليم (لابي السعود) 8/ 114.
(2) فتح القدير (للشوكاني) 5/ 66.
(3) التحرير والتنوير(لابن عاشور) 26/ 204.
(4) الصحاح (للجوهري) 5/ 1817 (محل).
(5) المحكم (لابن سيده) 3/ 375 (محل).
(6) لسان العرب (لابن منظور) 11/ 619 (محل).
(7) الرعد 13.
(8) ينظر: مفاتيح الغيب (للرازي) 19/ 24، والبحر المحيط (لابي حيان) 6/ 366.
(9) الكشاف (للزمخشري) 2/ 490.
(10) ينظر: مقاييس اللغة (لابن فارس) 1/ 433 (جدل).

قال ابن عاشور: (جَعَلَ جِدَالَهُمْ فِي اللهَّ جِدَالَ كَيْدٍ لِأَنَّهُمْ يُبْرِزُونَهُ فِي صُورَةِ الِاسْتِفْهَامِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِم: (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) فَقُوبِلَ بِشَدِيدُ الْمِحَالِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُشَاكَلَةِ، أَيْ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ لَا يَغْلِبُونَهُ)[11]. أي: لا يغلب كيدهم كيده ولا جدالهم جداله.

15 ـ قوّة الملائكة:

قال ابن فارس: (الْهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ تَحَمُّلُ الرِّسَالَةِ. قَالَ الْخَلِيلُ: الْأَلُوكُ الرِّسَالَةُ)[12]، (والمَلَك: مُشْتَقّ مِنْهُ، وَأَصله: مَأْلَك،...، وَالْجمع: مَلَائِكَة)[13]، يقال: (يُقَالُ: جَاءَ فُلَانٌ قَدِ اسْتَأْلَكَ مَأْلُكَته أَي حمل رسالته)[14]. وقد جاء هذا المعنى في موطنين وهما: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[15] و﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[16].

وصف الله ﷻ الملائكة في كلا الموطنين بالقوّة والشدّة، ففي الموطن الأول وصفهم بالغلظة والشدّة، قال الزمخشري: (في أجرامهم غلظة وشدّة، أي: جفاء وقوّة. أو في أفعالهم جفاء وخشونة، لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه)[17]، (وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ فِي مُعَامَلَةِ أَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ وُكِّلُوا بِهِمْ)[18].

(11) التحرير والتنوير (لابن عاشور) 13/ 106.
(12) مقاييس اللغة (لابن فارس) 1/ 132 (ألك).
(13) المحكم (لابن سيده) 7/ 89 (ألك).
(14) لسان العرب (لابن منظور) 10/ 394 (ألك).
(15) التحريم 6.
(16) الجن 8.
(17) الكشاف (للزمخشري) 4/ 573، ينظر: الجامع لأحكام القرآن(للقرطبي) 18/ 196.
(18) التحرير والتنوير(لابن عاشور) 28/ 366.

وفي الموطن الثاني وصفهم بالشدّة، قال الزمخشري: (والمعنى: طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها. والحرس: اسم مفرد في معنى الحرّاس ، كالخدم في معنى الخدّام ؛ ولذلك وصف بشديد ، ولو ذهب إلى معناه لقيل: شداداً)[1]، (فَوَجَدْنَاهَا كَثِيرَةَ الْحُرَّاسِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَكَثِيرَةَ الشُّهُبِ لِلرَّجْمِ)[2].

16 ـ قوة المُلك:

قال ابن دريد: (المُلْك: اسْم يجمع مَا يحويه المَلِك، وسُمّي الملِك مَلِكاً بذلك)[3]، وهو (يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ وَصِحَّةٍ ،...، قِيلَ مَلَكَ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ يَمْلِكُهُ مَلْكًا. وَالِاسْمُ الْمُلْكُ; لِأَنَّ يَدَهُ فِيهِ قَوِيَّةٌ صَحِيحَةٌ)[4]، وقد ورد هذا المعنى في موطن واحد وهو: قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[5]. قال الزمخشري: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ : قوّيناه)[6]، أي: (تَقْوِيَةُ مُلْكِهِ وَسَلَامَتُهُ مِنْ أَضْرَارِ ثَوْرَةٍ لَدَيْهِ وَمِنْ غَلَبَةِ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ فِي حُرُوبِهِ)[7].

س ـ معنى الكثرة:

جاء في (تهذيب اللغة) : (كَثُرَ الشيءُ يَكْثرُ كَثْرَةً فَهُوَ كَثِيرٌ)[8]، يقال: (رَجُلٌ كَثِيرٌ: يَعْنِي بِهِ كَثْرَةَ آبَائِهِ وضُرُوبَ عَلْيائه)[9].(واستكثَرَ من الشيءِ: رَغِبَ فِي الكثيرِ مِنْهُ، وأَكْثَرَ مِنْهُ أَيضاً)[10]. وهذا المعنى ورد لهذه المادة في ثلاثة مواطن وهي:

1 ـ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[11]. كانت العرب في جاهليتها إذا قضوا مناسك حجهم وقفوا عند البيت متفاخرين بذكر آبائهم وأمجادهم كلٌّ بما كان يفعله ويتفضل به على غيره، فأمر الله ﷻ عباده بذكره ودعائه بعد قضاء هذه المناسك، قال الزمخشري: (معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فإن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا أعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين)[12]، فالمقصود هو (أَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَشُبِّهَ أَوَّلًا بِذِكْرِ آبَائِهِمْ تَعْرِيضًا بِأَنَّهُمْ يشتغلون فِي ذَلِكَ الْمَنَاسِكِ بِذِكْرٍ لَا يَنْفَعُ وَأَنَّ الْأَجْدَرَ بِهِمْ أَنْ يُعَوِّضُوهُ بِذِكْرِ اللَّهِ فَهَذَا تَعْرِيضٌ بِإِبْطَالِ ذِكْرِ الْآبَاءِ بِالتَّفَاخُرِ)[13].

2 ـ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[14]. لّما كُتب قتال المشركين على المسلمين في المدينة إذا فريق منهم، أي: المنافقون الذين كانوا يتظاهرون بإرادة القتال قد تخلّفوا عنه؛ لأنهم يعلمون حالهم وموقفهم من الله ﷻ ، فمنهم من يخشى المشركين كخشية أهل الإيمان لله ﷻ، ومنهم من يزيد عليهم فيها فهو أكثر منهم[15].

(1) الكشاف(للزمخشري) 4/ 627.
(2) التحرير والتنوير(لابن عاشور) 29/ 227.
(3) جمهرة اللغة(لابن دريد) 2/ 981 (ملك).
(4) مقاييس اللغة(لابن فارس) 5/ 352 (ملك).
(5) ص 20.
(6) الكشاف (للزمخشري) 4/ 81، ينظر: المحرر الوجيز (لابن عطية) 4/ 566.
(7) التحرير والتنوير(لابن عاشور) 23/ 229.
(8) تهذيب اللغة (للأزهري) 10/ 102 (كثر).
(9) لسان العرب (لابن منظور) 5/ 132 (كثر).
(10) تاج العروس(للزبيدي) 14/ 18 (كثر).
(11) البقرة 200.
(12) الكشاف(للزمخشري) 1/ 275 ـ 276 ، ينظر: الدر المصون (للسمين الحلبي) 1/ 209.
(13) التحرير والتنوير(لابن عاشور) 2/ 245.
(14) النساء 77.
(15) ينظر: المحرر الوجيز(لابن عطية) 2/ 95، ومفاتيح الغيب (للرازي) 10/ 143، والتحرير والتنوير(لابن

3 ـ قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1]. قال الزمخشري: (وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم إلى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا)[2]، فعداوة اليهود والمشركين للمسلمين أكثر وضوحاً من غيرهما من الأمم المخالفة للاسلام، قال ابو حيان: (وَوَصْفُ الْعَدَاوَةِ بِالْأَشَدِّ وَالْمَوَدَّةِ بِالْأَقْرَبِ دَلِيلٌ عَلَى تَفَاوُتِ الْجِنْسَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَتِلْكَ الْعَدَاوَةُ أَشَدُّ الْعَدَاوَاتِ وَأَظْهَرُهَا، وَتِلْكَ الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ وَأَسْهَلُ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّصَارَى أَصْلَحُ حَالًا مِنَ الْيَهُودِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ مَوَدَّةً)[3].

الخاتمة والنتائج

بعد الانتهاء من دراسة هذه المادة اللغوية دلالياً على المستويات الأربعة لا بدّ من توثيق أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي كالآتي:

1 ـ جاءت دلالة هذه المادة اللغوية متفقة لغة واصطلاحا على كل ما هو ضدّ اللين والرخاوة، على وجه الحقيقة أو المبالغة.

2 ـ جاءت الدلالة الصوتية لهذه المادة متناسبة مع مدلولها اللغوي.

3 ـ جاءت الصفة المشبهة لهذه المادة على بناء (فعيل) ؛ لتعلقها بالنفوس.

4 ـ جاء أفعل التفضيل منها في الغالب مجرّداً من (ال)، وقليلاً مضافاً إلى المعرفة.

5 ـ جاءت هذه المادة على جموع التكسير، في الغالب كانت على (أَفْعُل) للقلّة لبيان مراحل خلق الانسان وبلوغه الرشد.

6 ـ جاءت هذه المادة اللغوية خبراً للمبتدأ لإفادة الاعلام، والاستجهال، واظهار القوة، وتنبيه المخاطب، وغيرها.

7 ـ جاءت هذه المادة خبراً لـ (إنّ) مقترنة بـ (اللام) في مواطن الاستخفاف، وكفران النعم، والفتنة، وقبائح الانسان.

8 ـ أفادت (لكن) معنى التوكيد في شدّة العذاب، فضلا عن الاستدراك.

9 ـ جاء لفظ (العذاب) موصوفاً بهذه المادة في الغالب.

10 ـ جاءت الاضافة فيها في الغالب غير محضة، من اضافة الصفة المشبّهة لمعمولها، على بناء (فعيل)، وجاءت في ثلاثة مواطن محضة من اضافة (أفعل) التفضيل إلى المعرفة.

11 ـ جاءت هذه المادة دالّة على معنى الإحكام،، والاطلاق، والبخل، والبلوغ، والجدب، والحُلُم، والاستقصاء، والربط، والصعوبة، والضيق، والعِظَم، والكثرة، وقوّة البأس، وقوّة البطش، وقوّة الثبات، وغيرها.

عاشور) 5/ 125 ـ 126.

(1) المائدة 82.

(2) الكشاف(للزمخشري) 1/ 700 ـ 701.

(3) البحر المحيط(لابي حيان) 4/ 344، ينظر: التحرير والتنوير(لابن عاشور) 7/ 6.

المصادر

- القرآن الكريم.
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، ط1، بغداد، 1385هـ ـ 1965م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي(ت 745 هـ) ، تح: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1418 هـ - 1998م.
- أساس البلاغة ، للزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تح: د. محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419 هـ - 1998م.
- الأصول في النحو ، لابن السراج (ت 316هـ)، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1417هـ ـ 1996م.
- أمالي ابن الحاجب، لابن الحاجب (ت646هـ)، تح: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، د.ط، بيروت، 1409 هـ ـ 1989م.
- الانتصاف من الكشاف، لابن منير السكندري (ت 683هـ)، مطبوع على الكشاف للزمخشري (ت 538هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 1418هـ ـ 1998م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام (ت761هـ)، دار الجيل، ط5، بيروت، 1979م.
الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين القزويني(ت739هـ)، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط3، بيروت، د.ت.
- البحر المحيط في التفسير، لابي حيان الاندلسي (ت745هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، د.ط، بيروت، 1420 هـ ـ 1999م.
- البسيط، لأبي الحسن الواحدي (ت 468هـ) تح: مجموعة من المحقيقين، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، د.ط ، الرياض ، 1430هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لابي الفيض الزَّبيدي (ت 1205هـ)، تح: مجموعة من المحققين، مراجعة واشراف لجنة من وزارة الاعلام، مطبعة حكومة الكويت، طبعات وتواريخ متعددة، الكويت.
- التحرير والتنوير، لابن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، الدار التونسية، د.ط ، تونس ، 1984م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك الطائي (ت 672هـ)، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، د.ط ، بيروت، 1387هـ - 1967م.
- تصريف الأسماء والأفعال، د. فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف ، ط2، بيروت ، 1408هـ ـ 1988م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار المعارف، ط7، مصر،، د.ت.
- تهذيب اللغة، لابي منصور الازهري (ت370هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، ط1 ، بيروت ، 2001م.
- توجيه اللمع، لابن الخبّاز (ت 639هـ)، تح: د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام ، ط2 ، مصر ، 1428هـ- 2007م.

- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تح: احمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية ، ط2 ، القاهرة، 1384هـ- 1964م.
- جمهرة اللغة، لأبي بكر بن دريد (ت 321هـ) تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، ط1 ، بيروت ، 1987م.
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لمحمد بن مصطفى الخضري (ت 1287هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط1 ، بيروت، 1424هـ ـ 2003م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط4 ، مصر ، 1999م.
- دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح (ت 1407هـ)، دار العلم للملايين ، ط1 ، بيروت، 1379هـ ـ 1960م.
- الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت 756هـ) ، تح: د. احمد محمد الخراط، دار القلم ، د.ط ، دمشق، د.ت.

● دلائل الاعجاز، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، تح: الاستاذ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، ط3 ، القاهرة ، 1413هـ - 1992م.
● ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال ، المؤسسة العربية للدراسات ، ط2 ، بيروت، 2000م.
● سر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جنّي (ت392هـ) ، تح: د. حسن هنداوي ، دار القلم ، ط1 ، دمشق ، 1405هـ ـ 1985م.
● سنن الترمذي ، لابي عيسى الترمذي (ت 279هـ)، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، مصر، 1395 هـ - 1975 م.
● شرح تسهيل الفوائد ، لأبن مالك الطائي (ت 672هـ)، تح: د.عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة ، ط1 ، القاهرة ، 1410هـ - 1990م.

● شرح التصريح على التوضيح، لزين الدين خالد بن عبد الله الازهري (ت 905هـ)، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت ، 1421هـ - 2000م.
● شرح الرضي على الكافية، لرضي الدين الاستراباذي (ت 686هـ)، تح: د. يوسف حسن عمر، جامعة قانيوس، ط2 ، بنغازي، 1996م.
● شرح شافية ابن الحاجب ، لرضي الدين الاستراباذي (ت 686هـ)، تح: محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف، ومحمد يحيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، د.ط ، بيروت، 1395هـ ـ 1975م.
● شرح المفصل، لابن يعيش (ت 643هـ)، تح: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1422هـ ـ 2001م.
● الصاحبي في فقه اللغة ، لابن فارس (ت395هـ)، تح: د.عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، ط1 ، بيروت، 1414هـ ـ 1993م.
● الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لأبي نصر الجوهري (ت 393هـ) ، تح: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، ط4 ، بيروت ، 1407هـ - 1987م.
● صحيح البخاري ، لابي عبد الله البخاري (ت 256هـ)، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط2 ، بيروت ، 1407هـ - 1987م.
● ظاهرة الاعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، د. أحمد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية، د.ط ، الاسكندرية ، 1994م.
● علم اللغة (مقدّمة للقارئ العربي)، د. محمود السّعران، دار الفكر العربي، ط2 ، القاهرة، 1997م.
● العين، لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 170هـ)، تح: د. مهدي المخزومي ، ود. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، د.ط ، بيروت ، د.ت.
● غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تح: احمد صقر، دار الكتب العلمية ، د.ط ، بيروت، 1398هـ ـ 1978م.
● فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، دار ابن كثير ، ط1 ، دمشق ، 1414هـ- 1994م.
● فقه اللغة ، د. محمد المبارك ، مطبعة جامعة دمشق ، د.ط ، دمشق ، د.ت.
● قوت المغتذي على جامع الترمذي ، لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تح: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي ، جامعة أم القرى ، د.ط ، مكة المكرمة، 1424هـ ـ 1994م.
● الكتاب، لسيبويه (ت180هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3 ، القاهرة ، 1408هـ ـ 1988م.
● الكشاف، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (ت 538هـ)، تح: د. عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي ، د.ط، بيروت ، د.ت.
● لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور الافريقي (ت 711هـ)، دار صادر ، ط3 ، بيروت ، 1414هـ ـ 1994م.
● المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الاندلسي (ت 542هـ) تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت، 1413هـ- 1993م.
● المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده المرسي (ت 458هـ)، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب

العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1421هـ - 2000م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، لابي البركات النسفي (ت710هـ) ، تح: د. يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، ط1 ، بيروت، 1419 هـ - 1998 م.
- المستقصى في علم التصريف، د. عبد اللطيف محمد الخطيب، دار العروبة ، ط1 ، الكويت ، 1424هـ - 2003م.
- مسند الإمام أحمد ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1421 هـ- 2001 م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس الفيومي (ت 770هـ)، تح: د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف ، ط2 ، مصر ، د.ت.
- معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار ، ط2 ، الاردن ، 1428هـ - 2007م.

- معاني القرآن، لأبي زكريا الفرّاء (ت 207هـ)، تح: احمد يوسف النجاتي وآخرون، الدار المصرية ، ط1، مصر ، د.ت.
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي اسحاق الزجاج (ت 311هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1 ، بيروت ، 1408هـ - 1988م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ، ط1 ، الاردن ، 1420هـ - 2000م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، ط1 ، القاهرة، 2010 م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبي عبد الله فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار احياء التراث العربي ، ط3 ، بيروت ، 1420هـ - 2000م.
- المفصّل في صنعة الاعراب، لأبي القاسم الزمخشري (ت 538هـ)، تح: علي بو ملحم ، مكتبة الهلال ، ط1 ، بيروت ، 1993م.
- مقاييس اللغة، لاحمد بن فارس الرازي (ت 395هـ)، تح: د. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، د.ط ، بيروت، 1399هـ - 1979م.
- المقتضب، لأبي العباس المبرد (ت 285هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، د.ط ، بيروت ، د.ت.
- النحو الوافي، عباس حسن (ت 1398هـ)، دار المعارف ، ط15 ، مصر ، د.ت.
- نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، د. كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء، ط1 ، عمّان، 1427هـ - 2006م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات، ابن الأثير، (ت606هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، د.ط ، بيروت ، 1399هـ - 1979م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، لجلال الدين السيوطي (ت911هـ) ، تح : د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية ، د.ط ، مصر ، د.ت.